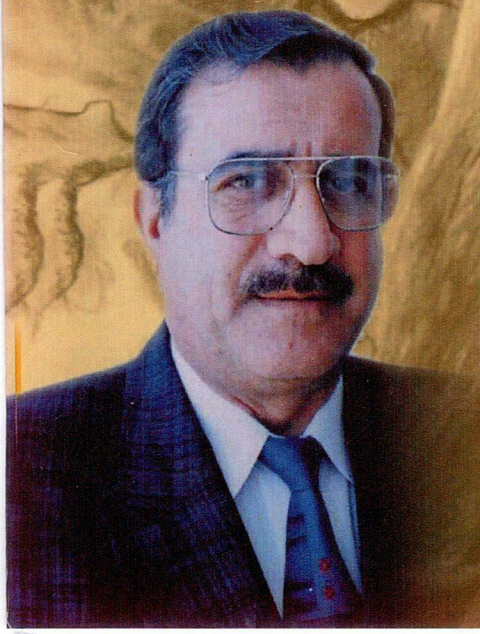
شعر

عبدالوهاب اسماعيل

لابد من لابد



ماشكيل
للطباعة
والنشر والتوزيع

لا بُدّ من لا بُد

عنـوان الكتـاب: لا بد من لا بد
اســم المـؤلـف: عبدالوهاب اسماعيل
نــوع الكتـــاب: شعر
عدد الصفحات: 278
حجم الكتـــاب: 14.8 × 21 سم
البـــــــلد: العراق
الطـبـــــعـة: الاولى

حقوق الطبع محفوظة لدار ماشكي
Copyright Reserved for ©MASHKI

International Standard Book Number (I.S.B.N)
978-9922-738-26-0

دار ماشكي
للطباعة والنشر والتوزيع
العراق – الموصل – المجموعة الثقافية
هاتف: 9647701664335+
البريد الالكتروني: mashky2019@gmail.com

لا يجوز نشر اي جزء من هذا الكتاب او تخزين مادته بطريقة الاسترجاع او نقله باي طريقة كانت او ترجمته الا بموافقة خطية من صاحب الحقوق.

الآراء الواردة في هذا الكتاب تخص المؤلف فقط والدار ليست مسؤولة عما ورد فيه

تصميم الغلاف: محمد شهاب
التنـــضيـــد: علي عبدالمنعم

شعر

لابُدَّ من لابُدْ

٢٠١٧

عبدالوهاب اسماعيل

مِزْحة

الحكاياتُ اسْتَراحَتْ

ثم غامَتْ نَفْحَةُ الوردِ

وأمْسينا على ربٍّ كريمْ ..

نُسْرِجُ الخَوفَ وأنْفاسَ رُؤانا

أو نُواري مُضْغَةَ الرُّوحِ

بأهْدابِ المَقاديرِ

وفي الجُرحِ السَّقيمْ ..

آثماً كنتُ وأَرداني زُقاقي ...

ومُلوكُ اللَّيلِ يَلْوونَ دَمي ،

أو يسْرِقونَ القَمْحَ

من أهْراءِ حاراتي

ومن ظِلِّ احتراقي ..

آثماً كنتُ

أُداري غُلْمَةَ القَهرِ

إذا ما بلَغَتْ حَدَّ التّراقي ..

كنتُ ماكنتُ

فمَنْ أثقَلَ جُنْحَ النّومِ

في كأسِ النَّديمْ ..؟

أبشَوطِ الحُلْمِ

أرْخَتْ صَبْوةُ النَّذْرِ حَكاياها

وألْقَتْني

على كلِّ الشُّطوطْ ؟..

أم سَبَتْني لَثْغَةُ الصَّبرِ

وحامَتْ في تَقاويمِ دَمي

سُخْريَّةُ العُذْرِ

على كلِّ الخُيوطْ ؟ ..

قد سَفَحْتُ العُمْرَ

في باكورَةِ الصَّيْدِ

وفي أذْرِعَةِ الصُّبْحِ

أُناغي الموجَ يَدْعوني

عسى ألْقى رِفاقي ..

السّماواتُ حَدَتْنا

واسْتَقَامَتْ في الدَّهاليزِ

زواياها

وسامَتْنا المَرايا

في الزَّواغيرِ البَواقي ..

قد سَبَتْنا

غَبْرَةُ الشَّيبِ

وشِبْنا بالصَّباباتِ

وما لاحَتْ نِثاراتُ الأملْ ..

النِّهاياتُ تَعامَتْ ودَهَتْنا

ثمَّ عَزَّانا بموتِ الفجرِ

ناقوسُ المَلَلْ ..

صارَ لا يَعْصِمُنا

من غَضْبَةِ السَّيلِ

فَضاءٌ

أو قَضاءُ ..

لا ، ولا أرضٌ شَرَتْنا

بمَساحيها

وباعَتْنا سماءُ ..

وتَهاوى جَبَلٌ

يَدفَعُهُ اليأسُ

إلى ظِلِّ جَبَلْ ...

***

في انْكِساراتي

وأوهامي الغَريراتِ أُقيمْ ..

هكذا

أرسَلْتُ للرَّحمَةِ أوثاني

عسى أُسْلِمُها زُلْفى

وأُسْديها

إلى الجُرحِ الكَظيمْ ..

وعَسى

أفْتَحُ بابَ الصُّلْحِ

ما بينَ نُجومي ومَجَرَّاتي

وما بينَ اشْتِياقي

وحَماقاتِ السَّديمْ ..

أبَداً أُدْني مَغاليقَ ضَلالاتي

ويَبْلوها القُنوطُ ..

أبَداً يَجْمَعُني

حولَ تَفاسيرِ الضُّحى دَربي

وساحاتُ مَواعيدي

وتَعروني خُطوطٌ

وخُطوطُ ..

أبَداً تَنْداحُ في الغَفْلَةِ أوهامي

على المَوجِ الوَخيمْ ..

فمَتى يَنْصُرُني قَومي

وتُحييني نِهاياتي

فَتَحدوني

إلى المَوتِ الرَّحيمْ ..

٢٠١٤

خَلَلَ الرّماد

أنا قد أُقَطِّرُ

من شِفاهِ المِلحِ أُغْنيتي

وقد أصْبو إلى حَجَرٍ قديمْ ..

أنا في غُبارِ الشَكِّ

أصْنَعُ فَيلَقاً من أُقْحُوانِ قَصائدي

وأُردِّدُ النَّجْوى

وأَدنو من غِواياتِ السَّديمْ ..

طينٌ يُجلْجِلُ في اخْضِرارِ مَراصِدي

وعلى دَمي دارَتْ حكاياتٌ

تَعَرَّشَ في حُروفِ لَبوسِها

حَزُّ المَساميرِ المَطيْرَةِ

في ضَراعاتِ الرَّقيمْ ..

.....

أنا إنْ جَلَدْتُ سَحابَتي

أحْثو على قَلَقي وُرودي..

أنا واجِدٌ في الوَجْدِ مُتَّسَعاً

ومُحتَفِلٌ بأبْراجي

وما حَفَظْتْ رُعودي ..

لا أسْتَسيغُ الوقْتَ

يَقْضِمُ في فُصولِ الحِبْرِ أوراقي

ويُدمي فِيَّ أسْرارَ المِدادْ ..

مُذْ أَمْسَكَ الجَمرُ المُغَمَّسُ

في سَرابيلِ الفَضاءِ أصابِعي ..

آثَرْتُ أحصُدُ

ذلك الوَعدَ الشَّحيحَ

وبَرْقَـهُ الشَّامِيَّ منْ خَلَلِ الرَّمادْ ..

أنا واجِدٌ

أوغَلْتُ بالمَوتِ الرَّحيمْ ..

فالأرضُ مَجْمَرَةٌ

ولي تحتَ السَّماواتِ العُلى ....

وَطَرٌ

يُكابِرُ في عَناويني ويَسْفَحُني

ويَسْمَرُ في حُدودي..

أنا صاحِبُ الأرَقِ المُقيمْ ..

أنا عاشِقُ الأرضِ الكَسيرَةِ

والغَريرهْ ..

أُثْري بِقاعَ الخَوفِ

أو أهْفو لتاريخِ البَراعِمِ

وهي تَذْهَلُ

في مَتاهاتِ السَّريرهْ ..

رغْمَ التَرَنُّحِ

أو سُقوطِ مَراجِمِ الغَدْرِ

العَميمْ ..

رغْمَ التَشَظِّي ،

والبِطاحُ تَنوءُ بالرِّيحِ

السَّمومْ ..

رغْمَ التَّأَرجُحِ

في المَلاذاتِ الغَفيرةِ

والعَسيرةْ ..

أنا حابِسٌ للأَرجَحِيَّاتِ الثِّقاتِ

وحارِسُ الرَّبَواتِ

من أطْيارِها..

تَسْتامُني العَتَماتُ

والخَفَراتُ في أقْدارِها ..

حتّى إذا كادَ التَّمَتْرسُ

بالقِلاعِ

يَموتُ في مَجْرى الرَّدى

ويَعيثُ في أسْوارِها ..

أرُقْي الشُّموسَ العاثِراتِ

على صدى أحجارِها ..

وأضُفُّها في غُربَتي .....

لتُلازِمَ الأقْدارَ

لو حُشِرَتْ ملايينُ الشُّطوطِ

وغالَتِ المَسْفوحَ من دَمِها

ومن أعمارِها ..

فأنا المُغَنِّي

صاحِبُ الأنَّاتِ والرَنَّاتِ

والآهاتِ في أوْتارِها ..

أُشْجي البَساتينَ الَّتي

أكَلَ الصّدى من جُرْفِها

ورَمَتْ تَسابيحَ الحَريقَةِ للحَقيقَةْ..

حَمَّلْتُ أغْصاني بأثْمارِ النَّهارِ

وكنتُ أخْتَرِمُ المَساراتِ العَدُوَّةِ

بالمَداراتِ الصَّديقةْ ..

.....

أنا دَعوةٌ أدَّتْ

على شَفَةِ الوضوءِ صَلاتَها

سَأَظَلُّ أسْتَقْصي الرُّسومْ ..

لأدورَ في خَلَدِ النَّواعيرِ

الَّتي انْهالَتْ على جَسَدِ السَّواقي

واسْتَثارَتْ في حَنينِ ضُلوعِها

الألَقَ الرَّخيمْ ..

الوقتُ يأكُلُ من رؤاي

العُمرُ يأكلُني

وأوراقي دموعُ الياسمينْ ..

ومعي المدى عَبِقَتْ بهِ

حُرَقُ النَّدى

رغمَ السّوافي والسِّنينْ ..

العمرُ يأكلُني

وذي غصَصُ الأماني

تَغلقُ الأبوابَ

تَعقُرُ صَبوتي

فصَمَدْتُ وَحْدي ..

غصَصُ الأغاني

تطرقُ الأبوابَ بالألَمِ المَكينْ ..

وتَرودُ بي ذَنْبي ومأثَمَتي

ويقتُلُني الضَّنى .....

جاوزتُ حَدّي ..

أحدو الصَّدى

وغَدي الضَّنينْ ..

.....

بدَمي الحَريفِ

أُكابِرُ الأعذارَ في أعذارِها ..

بدمِ الشتاءاتِ المطيرةِ

والمرابعِ

واصطفافِ الصَّيفِ في أكْدارِها ..

في عُتْمةِ الشَّيبِ المُوَزَّعِ

في البياضِ

وغَفْلةِ الأيامِ عن أقمارِها..

أُحْصي شُجونَ النّفسِ

في موتي المُبينْ ...

أُحصي جُنونَ الفأسِ

والحطَّابُ

يُعْمِلُ وِزْرَ عُتْمَتِهِ

بلُحْمَتِهِ

ويُسدي بي جُنونَ العالمينْ ..

..... ٢٠١٤

ومَعي هَوايْ

-١-

أَجْري لأعتِقَ خُطوتي

وألوذَ في الأفقِ القريبِ

وَليس في جَسَدي سِوايْ ....

لا الأرضُ تَحْبَلُ ثم تولَدُ

لا الخَديجُ

تَلُفُّهُ في الحُضْنِ حاضنةٌ

وأَغْمُضُ

في رُؤايْ ....

سبحانَ مَنْ جَمَعَ اليَباسَ

على احتِراقِ مَواسمي

وصدى مُنايْ...

فالقَهرُ

قد نَكَأَ الجراحَ

وأتْرَعَ الدّنيا

وحَسْرتَها

وأوغَلَ في أسايْ..

-٢-

كانتْ غَريراتُ السُّؤالِ

مع المَسائلِ

في المَهازِلِ حُوَّما ...

في شوطِها المويوءِ

تسألُ مُرَّها ثَمَراً

وأسْألُها وَثيقاً مُحْكَماْ ..

يَجْلو لها ما ألْقَتِ الرُّؤيا

وما شَدَّتْ بصبرِ اللَّيلِ

أنفاسٌ وأجوِبَةٌ

أضَعناها

وباعَتْنا بكانَ ورُبَّما ....

أثَراً

ولي أَثَري مَعي ...

ومعي رَجَايْ ...

أيَطولُ بي وَقْدي

ويُسْلِمُني حصادُ حريقِهِ

قَدَراً ؟

لِتَنْفَرِطَ السَّواترُ في أنايْ .....

لابُدّ من لابُدْ

-١-

وكانَ يا ما كانْ ...
أنا وأنتِ غُربتانِ
يا لواعِجَ المَكانْ ...
وصيْحَتانِ مُرَّتانِ
في لَظى الوَحشَةِ
والأمانْ ...
أنا وأنتِ
والقَصيدُ
في مَبادِلِ الرُّؤى ...
نموتُ بالحَرِّ
وبالقَرِّ
ونَحتالُ على آثامِنا
كي نَستُرَ الأغصانْ ..

-٢-

أنا وأنتِ والترابْ ...

نَخصِفُ من أحداقِنا

مَزاغِلاً

ونرقَبُ العابرَ والغابِرَ

في مَحارِقِ السّرابْ ....

-٣-

أنا وأنتِ

يا مُنى لاعِجَتي المَصونْ ....

نموتُ في مَعاطِبِ الجُرحِ

وإيقاعِ الدَّمِ الحَرونْ ..

نموتُ

بين بائعٍ ومُشْتَرٍ..

نموتُ

في اغْتِرابِنا المجنونْ...

-٤-

يَنُمُّنا الحضورُ للغِيابْ .....

يَلُمُّنا السُّؤالُ ثمَ ينتهي .....

وقَبلَ أنْ ينتَظِرَ الجَوابْ ..

تَناثَرَ الفاعِلُ والمفعولُ

في مجاهِلِ الفَتْحةِ

والضَمَّةِ

واسْتَعْصى دَمُ العُرْبِ

على الإعرابْ ...

-٥-

لا تسْألي عن رَجَزِ البُحورِ

في دَوَّامةِ الخَرابْ ...

لا تسألي

أينَ حروفُ الجرِّ

في الجَرِّ إذنْ ؟

بَلْ سائلي .....

مَنْ يُسْدِلُ السِّتارَ

فوق مَشْهدِ اليأسِ الخُرافيِّ معي

كي نَسْتُرَ الأعرابْ ؟..

-٦-

مَنْ يُعرِبُ الكَسْرةَ

أو يُجْبِرُها ؟

مَنْ يَزحَمُ الرِّهانْ ؟..

مستفعلُنْ مستفعِلُنْ

ضِعْنا معاً ..

وضَيَّعونا قَبْلَها

في قِسْمَةٍ ضِيزى

مَضَتْ ...

.....

وكانَ يا ما كانْ ..

-٧-

يا وَطَنَ الحُرقَةِ

والفُرقَةِ

والسَّكْرَةِ والصَّحْوَةِ

والدُّخانْ ..

حتّى متى نُؤرِّقُ الخِطابْ ؟.....

.....

.....

حتّى متى

نُلاحِقُ العِراكَ بالعِراكِ

والشِّباكَ بالشِّباكِ

والفضاءَ بالبازيِّ

والغُرابَ بالغُرابْ؟ ...

قد نَعَقَ القاتِلُ والقَتيلُ

في مَناحةِ القَومِ

وفي خارطَةِ الحِرابْ ...

-٨-

حتّى متى

نقولُ للزَّمانْ ؟...

فَرَّطْتَ بالمُزْنَةِ

والوَعْدِ

وبالغَيمَةِ

والرَّعْدِ

وفاضَ القَلَقُ المُهانْ..

حتّى متى

تُلاحِقُ الدِّيمَةَ

وهي تَلْتَظي

والوَجَعَ الأغْبَرَ في سَرابِهِ ؟

واسْتَعَرَتْ

كلُّ السَّكاكينِ دَماً ..

واضْطَرَمَ السُّعارُ

مِهْرجانْ ....

-٩-

عليكِ أفضلُ السّلامِ

يا عُرى قارعَتي

بأفْصَحِ اللِّسانْ .....

عليكِ أفضَلُ السَّلامِ

يا ذُرا قاطِعَتي

بأفضلِ الحُروفْ .....

قولي لهذا الفَلَقِ الصَّامِتِ

خلفَ السِّتْرِ والشُّفوفْ ..

يَعْبَثُ في بِطانَةِ الجُدرانِ

أو رَكانَةِ الأحزانِ

أو رَطانَةِ السُّقوفْ ..

فَرَّطْتَ بي

يومَ تَعَثَّرتَ

بهذا القَلَقِ الظَّالِعِ

بالحُتوفْ ..

-١٠-

يُريبُني فضاؤكَ المُهانْ ...
فرَّطتَ بي ...
وبالدِّمِ النّاعِبِ
في كُسوفِهِ
بهُدْنَةِ الملاكِ والشيطانْ ...
تهادَنا كلاهُما
فأيَّ إيلافِ لظى العَسْفِ
يُكذِّبانْ ....

-١١-

لابُدَّ مِنْ نَزيفْ ..
في رحلةِ الشّتاءِ
والصّيفِ
وفي تَليدِنا
يُجَدِّدُ الطَّريفْ ..

يُجَعِّدُ الخريفَ في خريفِهِ

بكائنٍ مَنْ كانْ ..

يُنَثِّرُ القُطوفَ

أو يُبَعثِرُ الصُّفوفَ

أو يُشاكِلُ البُركانْ ..

-١٢-

والعَرشِ والميزانْ ...

لابُدَّ من يومٍ نَسومُ صُبْحَهُ

أو من دَمٍ

يَرُجُّنا

في حُرقَةِ الشِّريانْ ..

لابُدَّ من عَجيبِهِ.....

لابُدَّ من صَليبِهِ.....

أو يُصْلَبُ الحاضرُ

في واجِهةِ الدُكّانْ ...

-١٣-

لابُدَّ من رَكْضٍ ومن عِثارْ ...

لابُدَّ من جُنونِهِ وعَصْفِهِ ...

لابُدَّ من فَنارْ ....

وموجَةٍ تُقارِبُ النَّشيدَ

في وَقيدِها

وتُشْرِعُ الأبْحارْ ..

-١٤ -

لابدَّ من سُعارْ ...

يطْمِسُ أحداقَ العَجاجِ

بالفِجاجِ

او نَتيهَ في خرائطِ الغُبارْ..

أرضاً بلا وَعْدٍ

ولا وَقْدٍ

ولا نَجْدٍ ولا عَرارْ ....

-١٥-

حتى السَّماواتُ المرايا

أقْفَرَتْ ..

وجَفَّتِ الأقمارْ ..

حتى البوادي أُفْرِغَتْ من صَمْتِها

كي تَقْمَعَ النّهارْ ....

لابُدَّ من دُوارْ .....

-١٦-

لابُدَّ من لابُدَّ

حتى يَكْثُرَ السَّاعونْ ..

نَحْدو بِهِمْ سَفائنَ الغَمْرِ

وتُطفي حَرْثَها المَنونْ ..

حدَّ انْفِراطِ الصُّبْحِ

في مَمالِكِ الجُرحِ

وحتى يَصْهَلَ الدُّجى وتَثْأرَ السِّنونْ ..

-١٧-

لابُدَّ من لابُدَّ

كي نَكونْ ..

.....

لابُدَّ من لابُدَّ

أنْ نكونْ ....

ويزخَرَ الموجُ على نُدوبِنا

ويَبْدأَ المغامرُ المجنونْ ..

.....

يَرْفَأُ من جُلودِنا أشْرعَةً

وتَمْرُجُ الشُّطآنْ ...

تَنوءُ بالرِّمالِ

والصِّلالِ

والحَرامِ

والحَلالِ

واللؤلؤِ والمَرجانْ ..

-١٨-

لابدَّ من أسنانْ ..

.....

لابُدَّ من جُرفٍ

فقد أدْمَتْ مَنايانا قُروشُ البحرِ

ألْقَتْنا على رِهانِها

وكَشَّرَ المَحارُ

في عَليقَةِ القُرصانْ ...

٢٠١٥

لقاء

(بعدَ أربعينَ عاماً على آخرِ لقاءٍ ..
هاهي الآن أمامي وَسْطَ زُحامِ الطريقْ ....
كُدْتُ أنْ أَضيعَ في ملامِحِها....
وأوشَكَتْ أنْ تَتَوَهَّمَني)

يومَ كانتْ وَشْوَشاتُ الرّيحِ ،
كُنّا ..
يومَ كان الأُفْقُ
مِسحالَ مَشاعِرْ ....
وَتَرامَتْ أنْجُمي في اللَّيلِ
و (الزُّهْرةُ) تَرنو للمَعابِرْ ....
خُصْلَةُ الأحبابِ رَفَّتْ
و(سُهَيلٌ)
يَرصُدُ الفجرَ الطَّروبْ ....
ذَكَّرتْني بالذُّنوبْ ....

.....

- كيفَ تاهَ الحلمُ

حتى أنْ كَبرْنا ؟..

- كيف ضِعْنا ؟

كيف ضاعَ العُمْرُ

في غابِ الخُطوبْ ؟ ....

_ ذَكِّريني بالذُنوبْ ....

.....

- أين غابَتْ ضحكَةُ الشُّباكِ

يا تلكَ الضّفائرْ ؟....

صارَ ذاكَ الصُّبحُ

كلُّ الصُّبحِ

مِسحالَ خواطرْ ....

(عَزَّ ذاك البابُ والبَوّابُ

والأيامُ سألَتْ

من حلاقيمِ الحُروبْ)....

_ ذَكِّريني بالذُنوبْ ...

.....

.....

- ذكِّريني بالزَّمانِ العابِرِ ....

طِرْتُ مُذْ لاقَيتُ عينيكِ

.... هنا الآنَ ،

فعاثَتْ رَفَّةُ الرّوحِ

برَجْعِ الخاطِرِ ..

.....

.....

- هِيَ ؟...

.....

(قَلْبي طائرٌ فَزَّ)

.....

- ولا ..

- بَلْ هِيَ ..

(واحْتَرْتُ) ،

فأينَ الزُّهْرةُ اليومَ

وأينَ المُشْتري ؟....

.....

- هِيَ ؟....

- لا

- بَلْ هِيَ ....

- لا

.....

(مَرَّتْ ...

وقَرَّتْ في حَنينِ الأربعينْ) .....

- وأنا ؟..

- لا.. ما أنا ....

- بَلْ أنتَ يا طوفَ السِّنينْ ....

- وأنا أقبَلُ أعْذارَكَ في السّوقِ

وَقَفْنا طائعينْ ....

.....

ليضوعَ الصّمْتُ بالذِكْرى

وفي دَهْشَةِ لُقْيانا

تَسَمَّرْنا

شُخوصاً هامِدينْ....

.....

- هل نُعيدُ العمرَ ؟

- لا نَمْلُكُهُ ..

- هلْ نَشْتَري ؟..

.....

بينَ أضلاعي حكاياتٌ

وكانتْ فاغِماتٍ .....

فاذْكُري ..

رَفْرَفَتْ أنسامُها اليومَ بعينيكِ

وأرسَلْتِ بمعناها ..

أراها الآنَ مِلْءَ النّاظِرِ ....

.....

قد تَعِبْنا وكَبِرْنا

ويَبُثُّ الشَّيبُ

أسرارَ الغُروبْ ....

(وَدَّعَتْ شمسُ الصَّباباتِ

وأعْمَتْنا عَجاجاتُ الدُّروبْ)....

هذه الفَجْأةُ ،

ألْقَتْنا على وَمْضَةِ حُلمٍ

نائيهْ ....

وتذكَّرنا وغِبْنا

في سرابِ المُغْبِراتِ السَّافيةْ....

أجدَبَتْ تلكَ المزاراتُ

وعُدْنا بالحُطامْ .....

وسَفَتْ أعمارُنا حتى الْتَقَينا ...

يا لَها من صُدْفَةٍ ،

أحْيَتْ تباريحَ الغرامْ .....

يا لَها من وَقْفَةٍ

يسْتَأْسِدُ الصّمْتُ

على أفْواهِنا فيها

ويُعيينا الكلامْ ...

.....

سَوفَ تَمضي هذه اللَّحظَةُ

نحْيا في تَفاصيلَ

رَمَتْني لسِواكِ ....

.....

هل تَريني

مثلَما أشْتَقْتُ أراكِ ؟

فأنا أنْثالُ مَعْ روحي لذِكراكِ

ويدعوني مع العُمرِ

صَداكِ ..

فاذْهَبي في ذِمَّةِ الدَّرْبِ

وقدْ لا نَلْتَقي ....

أطْفِئي الذِّكرى وَغيبي .....

أبَداً لا تُشْرِقي ....

سوف تَمْضينَ

وأمْضي ....

.....

وعلى الدُّنيا السّلامْ ....

غلالَةُ الرَّمادْ

-١-

أقولُ ما أقولُ ،

ماذا ياتُرى أقولْ ؟ ....

.....

يا وَحشةَ الأفكارِ

يا لواعِجَ الصَبَّارِ

يا مَدارِجَ العاقولْ ..

ياحُرقةَ الرِّحالِ في الرمالِ

والسَّعيرِ في الهَجيرِ

والخَرابِ في الطُّلولْ ..

أقولُ ما أقولُ

ماذا يا تُرى أقولْ ؟...

يا ضَيعَةَ الدَّربِ

اسْمعيني مرَّةً

يا غُربةَ الفصولْ ...

يا ضَيعَةِ الصَّحبِ
لقد جَفَّتْ مواويلُ الحكاياتِ
ومَلَّتْني رؤى الذّبولْ ..

-٢-

أقولُ ما أقولُ
ماذا يا تُرى أقولْ ؟...
.....
مَلَلْتُ من عَمايَةِ الطَرْقِ
ومن غِوايةِ الطَّريقْ .....
مَلَلْتُ من صَبْرِ مفازاتي
وغَـدرِ شِقَّتي
والخِلِّ والرَّفيقْ ..
لا تُفْرِديني
عن خِطابِ حُرقَتي
يا حَسْرَتي ..
فشوطُكِ الطَّويلْ ..

يُطيلَ بي لِجاجَهُ

ويُشْعِلُ الفَتيلْ ...

مواسِماً

مواسِماً ...

محروقةَ الصّهيلْ ..

-٣-

لاتُفْرِدي لي كَسْرتي

- يا خَيْبتي -

في غِنوتينْ ..

في مِحنَةِ الحُلْمِ

اتْرُكيني

واتْرُكي ليْ موتَتَين ....

أُولاهُما

فاتَتْ وقَفَّاها دَمي ..

والمَوتَةُ الأُخرى

تَمادَتْ غَفْلَتينْ ..

في بِرْكَةِ الرَّمادِ

تَعروني دَماً ...

فأشْتَري ثَمودَها وعادَها

في بَيعتينْ ...

بالنَّقْدِ أَشْري لَحنَها

في مَرَّةٍ

و مَرَّةٍ

بَصيصَها بالدَّينْ ...

-٤-

سيَعبُرُ الكثيرُ

بل يا أيُّها القَليلُ ..

يَظَلُّ في صَهيلِهِ

يقْصَرُ أو يَطولُ..

أظَلُّ أستَحضِرُ أخلاطاً به..

وهْيَ تَخونُ غُربَتي وزادَها

ومِلْحُها يصولُ ..

يأكُلَّ أضلاعي

وياغَليلَ نَبْضِهِا

متى متى

ستَنْتَهي الحُلولُ ؟...

-٥-

يارِفْقَةً ..

لمْ يُنجِزوا تاريخَهم

كبَتَ فُلولُ شَوطِكُم

وغالَتِ الفُصولُ ...

بدَغْلِها المَنْفوشِ بالشَّوكِ

عَتَتْ بذاتِنا .....

بنَذْرِ أمَّهاتِنا شَتَتْ

وذِكرياتِنا ..

وأكَّدَ الشَّتاتَ في ربيعِنا

خريفُهُا العَجولُ ...

-٦-

كم طافَ في حاراتِنا
بجَمْرةِ اليباسْ ....
كم عافَ في ساحاتِنا
خرائطَ الإفلاسْ ...
جَرَّ على تاريخِنا
ضراوةَ القهرِ
ففي أكنافِنا تَهْجُرُ أو تَغولُ ..
حتى سرابُ قَفْرِها
أضرى بهِ الذُّهولُ ..

-٧-

يا مَيعَةَ اليَبابِ في أطرافِهِ ...
ويَيعَةَ الخَرابِ في إسْفافِهِ...
قد أقْلَعَ السَّحابْ ....
بل أجْدِبَ السؤالُ في سمائنا ....
وتاه في مَهامِهِ الجوابْ ..

أوغَلَ بالعَسْفِ

وفي عَسيفِ أمْرِهِ

تعثَّرَتْ مَواجِعُ الترابْ ..

-٨-

في سُبُلٍ تعسَّرتْ

وأعْذَرَتْ

وهذه الطُّلولُ ..

تناثرتْ أوهامُها وما دَرَتْ ..

ونابَها الذَّهابُ

والقُفولُ ..

أتْعَبَها الدخيلُ والنزيلُ

والبازيُّ والغُرابْ ..

مُذْ رابَها الحُداةُ

والنُّهاةُ

في مَفاوِزِ السَّرابْ ....

-٩-

أتْعَبَها الرَّمادُ

والسَّوادْ ..

.....

أتعَبَها القَتَادُ والحَمادْ ....

سبعاً نزيفُ حِبْرِها

كانَ وما ..

تَعَسَّرتْ دواتُهُ

بما جنى المَزادْ ..

في صَفْقَةٍ

بين ذُهولِ العَبْدِ

في صَفْنَتِهِ

وصَفْعَةِ العِبادْ ....

في مهرجانَ السّينِ

في ضريبةٍ منقولةٍ

ومَعْمَعانِ الصَّادْ..

-١٠-

في السُّوقِ
بينَ البَخْسِ في رِبْقَتِهِ
وبين غَدْرِ النّاسْ ...
تَلُمُّنا قُروحُنا
وسوحُنا
وتَحْقِنُ الأنفاسْ ..
فقد دَجَى في حَيفِها شُهودُها .....
ولَعنَةُ الخَنَّاسْ ..
مُذْ أجدبَ الحَرْثُ مع النَّسْلِ
فَلا مِنْ خَيمةٍ
تَروفُنا بظِلِّها ...
ولا عَمودٍ
يُمْسِكُ الجِناسَ في طِباقِهِ ..
نَعوذُ من شَرِّ الدُّنى
وحُرقَةِ الوسْواسْ ..

-١١-

نعودُ من رُفاتِنا الثَّقيلْ ..
قد أخْفَقَتْ مَناجِلُ الضَّوءِ
على سُفوحِهِ في لَيلِنا الطَّويلْ ....
خَانَ الدّمُ الآبِقُ
مَحذورَ الرُّؤى في عَتْمِهِ
وزادْ ...
فجائعَ الأرضِ التي تذرَّعَتْ
بكُلِّ ما ضَنَّتْ بِهِ
ودائعُ السَّوادْ ...
نَلْظى على مَداخِنِ القَيظِ
بِقيظٍ قاتِمِ
هَزَّ مَواقيتَ الضَّنى ...
واسْتَفْتَحَ المَزادْ ....
لِذِمَّةِ السُّعاةِ والجُناةِ
والحادي الَّذي لم يَقْدَحِ الزِّنادْ ..

جَماح

ياغَضَّةَ الجَناحِ
يا جِراحِي ....
خُوضي بنا بَيادِرَ الرِّياحِ ...
روضي المُدى
كي تَبْرَحي الحَريقْ ...
خوضي بنا نُزوعَنا ....
يا زُحْمَةَ الطَّريقْ ...
فالعَتَمُ الموحِشُ
في مَساحِبِ الليلِ عَتا ،
وأعْتَمَ الكَرَّةَ
في مَساحِلِ الصَّباحِ ..

***

جُوسي بنا
في زُحمَةِ العِبادِ ....

رمادُنا يَرزَحُ في جُموحِنا ...
ولَكْمةِ القَرْحِ الذي
اسْتَعْصى على الضَّمادِ ..
.....
تَوزَّعينا
في مَنافينا
وطُوفي غُربَةَ الشُّطآنْ...
بلْ أسْرِجي الرَّكْبَ
معَ المِسْارِ في مَسارِهِ
بكائنٍ
مَنْ كانْ ....
يا حَفْلَةَ الأمْواجِ والأحراجِ
والأشكالِ والألوانْ ...
ياغَفْلَةَ الأسْفارِ والأشْعارِ
والأقْدارِ
والأحجارْ ...

من رُقُمِ الطِّينِ ابْتِداءً

وإلى ... سَطْوَةِ أهْلِ الحَلِّ

والعَقْدِ انْتِهاءً

..... ضيَّعَتْنا حَزَّةٌ

في شَقْوَةِ المِسْمارْ ...

.....

بل أخْفَقَتْ حتى السماوات

بِلَـمِّ الأرضِ

من ذُنوبِنا الكِبارْ ..

(وأَترَعَتْ مَساربُ الغَدْرِ

بها دُروبَنا ...

وأَمْرَعَتْ مَسالِكُ الغُبارْ...)

صافِناتُ البيد

يا تَمتماتِ السّوحِ
يا دجلةُ
ياصَعْبَ الجُروحِ
يا فُراتَنا..
يا ذكرياتٍ أوْجَرَتْ بالرُّوحِ
ياحَياتَنا...
لم نَدْرِ أنَّ الغَدْرَ
قد أزْرى بِنا
وطَفَّفَ العُمْرَ
بميزانِ الرَّدى وجارْ ..
ضاقَتْ بهِ أسْفارُنا
وخُرِّبَتْ أسْوارُنا
وضاعَتْ الأعمارْ..

***

في قاتِمِ الظُّلْمةِ

في ظُنونِها

في ليلِها الطَّويلْ ..

يَقْرَعُ في سِكَّتِها الكَثيرَ

في كَثيرِهِ

ويَسْفَعُ القَليلْ ...

فنَسْتَجيرَ بالضَّراعاتِ

وقد خابَتْ مَداراتُ الرَّجا

في وَقْعِهِ الثَّقيلْ ...

.....

يَذرَعُنا ويُثقِلُ الحِصارْ ...

.....

يُومِضُ للدَّربِ عَمى ألوانِهِ

مَفاوِزاً

مَفاوِزاً

ويَزْحَمُ المَدارْ ..

يَزُجُّنا في حالِكِ اللَّيلِ بهِ
ويَقْتَفي آثارَنا
في مَطلَعِ النهارْ ...
قوافلاً قوافلاً
في صافِناتِ البيدْ ...
تَلُجُّ بالطِّباقِ والجِناسِ
والطَّريفِ والتَّليدْ...
تَسْرحُ بالعتيقِ من أنفاسِها
لتَطْمِسَ الجَديدْ ..
مَنازِعاً موحِشَةَ الأقدارِ
لاتَحيدْ ..
موحِشَةَ السَّربِ
عَتا طابورُها ودارْ ..
على الطَّريقِ غُربَةً
عاثورُها أعْيا السُّرى
وخانَها القِطارْ ..

عَجَّتْ بقايا دَربِهِ بضَربِهِ

لمّا تَمادى سادِراً وسارْ ..

.....

يَطْوي المحطَّاتِ

الْتِياعٌ غادرٌ

ويُشعِلُ الفَتيلْ ..

رَجْماً مع الظَّنِ

يَبيعُ التِّيهَ في سَرْوَتِهِ

ويَخْذُلُ الدَّليلْ ...

أمْرَى عَجاجَ ظَعْنِهِ

بحُمْرَةِ القِفارْ ...

أعرى خَبايا سوحِها ...

لا نَجْدُها نَجْدٌ

ولا عَرارُها عَرارْ ...

مَرْثِيَة

طَيفُ أمِّي

خَلْفَ ذاكَ البابْ ...

كيف مَرَّتْ أوَّليّاتُ اللَّيالي ؟...

كيفَ مَرَّتْ ؟

..... لم يَعُدْ وَهّابْ ...

***

دَثَّرَتْ أطفالَهُ خَمْساً

وعاذَتْ بِرُؤاها ...

قَرأتْ أورادَها

والصَّبرَ،

آلافَ التَّسابيحِ ،

وقد كَلَّتْ خُطاها ...

ليتَها اليومَ تُناديني

فَيُشْجيني نِداها ...

أو تُناجيني ...

_ تَأَخَّرْتَ وكادَ اللَّيلُ أنْ يَنجابْ ...

***

- قد تَأَخَّرْتَ كثيراً يا وَكيحُ ...

لم يَعُدْ في هذه العُتْمَةِ

من ظِلٍّ يَلوحُ ...

.....

لم يَعُدْ في غُربةِ اللَّيلةِ

من ديكٍ يَصيحُ ...

قد تَأَخَّرتَ

وراحَ اللَّيلُ يا حَبَّابْ ...

.....

- ساحَ ذاكَ اللَّيلُ يا أمَّاهُ ،

في نَجْواكِ

حتى شابْ ...

***

شابَ ذاكَ السُكْرُ واللَّغْوُ

وشابَ الأُنْسُ واللّهْوُ

وشابَ العُذْرُ

والأحبابْ .....

.....

هَدَأَتْ ضَجَّتُهم حَولي ...

وخَلَّوْني لِحالي ...

أودَعوا الدّهْرَ خَباياهُم

فأسْرى بحكاياتِ اللَّيالي ...

ومضى العُمْرُ وأمْضانا

مَظاعينَ حَيارى

بعَذاباتِ عَناقيدِ الدَّوالي...

آهِ يا آخِرَةَ الشَّوطِ

تدافَعْنا على السُّوحِ ،

عَبَرْنا في تَواليها

على ريحِ الغَوالي ...

غَرَّبَتْ أعتابُهم

واسْتأْسَدَ اللَّيلُ مع الحُرَّاسِ

..... والأصحابْ ..

***

هاجِسُ الحُلْمِ طَواهُم .....

ثُمَّ ناموا في سَلامِ ...

أكَلَ الرَّمْلُ مَراياهم وغابوا ...

وتَهاوى رَكْبُهُم

وَسْطَ الزُّحامِ ...

كنتِ لايُرضيكِ يا أمّاهُ

إيغالي بصَولاتي

فكُفِّي عن خِصامي ...

كنتِ لا يُرضيكِ إيغالي

فَكُفِّي ...

لم يَعُدْ في فُسْحَةِ الحَيلِ

سوى اللَّومِ أمامي ...

لم يَعُدْ في غُربَةِ اللَّيلِ
سوى النَّومِ فَنامي ...
رضَعَ الأحفادُ
ماأبْقَيْتِ من ذِكْرى
وماأمْرَيتِ من ثَدْيِ الظَّلامِ ...
.....
لم يَعُدْ في غُربَةِ البابِ
سوى العُتْمَةِ والحُلْكَةِ
والأغْرابْ ...
***
أطْرُقُ البابَ غَريباً ...
.....
أطرُقُ البابَ
فلا ألقاكِ يا أمَّاهُ
خَلْفَ البابْ ...
١٩٨٥

أغنيةٌ للجَبَل

الصَّحْبُ المَرعوبونَ
من المَجْهولِ
وهُمْ يَسْتَقْوونَ
بذِكْرِ الرّحمنْ ...
يَنْدَسُّونَ بأضلاعِ اللَّيلِ
فتَعروكَ الظُّلْمَةُ
فوقَ صُخورِ الرُّعبِ
وقُـرْبَ مَهاوي الوديانْ ...
.....
والأمْرُ رِهانْ .....

***

بين الدَّربِ وبَينَكَ
ضوءُ مَصابيحَ
يَجرُّ هَديرَ العَجَلاتْ ...

وتَفيضُ الظُّلمةُ حولَكَ ،

والفلاّحونَ يَلوحونَ

بعُتْمَتِهم ،

في أشْباهِ الضَّوءِ

وأشْباحِ الرَّبَواتْ ..

يأخُذُكَ السَّاعةَ

خَوفٌ مَكْبوتٌ

فَتَلوذُ السِّيكارَةُ

بين أصابِعِ صَمْتِكَ هارِبَةً

في مجرى الصَّمتِ من العَتَماتْ...

***

بِبَصيصِ مَشارِفِها الآنْ ..

قاموسُ الوقتِ

يدورُ على صَحبِكَ

هَمْساً ودُخانْ ..

***

- مِنْ أينَ ؟

(صباحاً يسألُكَ المُختارْ)* ....

.....

- هذا الدَّربُ

إلى النَّاحِيةِ السُّفْلى ...

.....

تَنْزِلُ في النَّهرِ

يَشُدُّكَ للشَّاطِئِ

شاطئُ (زيبارْ) *....

وأمامَكَ هذا (الزَّابُ الأعلى) * ..

.....

يَرمي النَّاسُ إليكَ

إشاراتِ مَحَبَّتِهم

فَتَلوذَ بأَخْشابِ (العَبْرَةِ)*

في هذا المِعْبارْ ....

***

بينَ الدّربِ وبينَكَ نِصفُ نَهارْ ..

مُمْتَلِئٌ بحَفيفِ الشَّوقِ

وسِحْرِ الغابِ وريحِ الأشجارْ ...

مُمْتَلِئٌ بعُطورٍ ناعِمَةٍ

وصلاةٍ فاغِمَةٍ تُتْلى ....

مُمْتَلِئٌ بوجوهٍ باسِمَةٍ

ونُجومٍ حالِمَةٍ

بفَضاءٍ يَعلو

ليَلُمَّ جِبالاً

ومَسَرَّاتِ طَرائقِها ،

وسماءً أحْلى ....

***

- أعَبَرْتَ وِهاداً

يعْمُرُها الصَّبحُ ؟

- سَمِعْتَ صدىً يَتَدافَعُ

نحوَ شُجيراتِ الدَّفْلى ؟..

- أرأيتَ جَداولَ تَنْثُرُ مَغْناها

فوقَ الصَّخرِ ؟؟

وهَل كُنتَ أصَخْتَ لكلِّ الأطيارْ ؟؟..

فهناكَ على الجُرْفِ

تَراصَفَ وجْهُ الخُضْرَةِ

واحْتَفَلَتْ بعبورِكَ

كلُّ الأسْوارْ ....

***

بينَ الأُنْسِ وبينكَ أمْرانْ ..

شَدْوُ بلابلَ

مَحفوفٌ بعَرائشَ صاخِبَةٍ

وخُيوطِ حَنانْ ...

والدَّهْشَةُ أكبرُ من عَينيكَ

ومن جَنْبَيكَ

ومن عَبَقِ الألوانْ...

***

(أنتَ فَتىً بمشاعِرِ صوفيٍّ
تَتَأَمَّلُ ما حَولَكَ
... أنتَ فَتىً بِرَهافَةِ فَنَّانْ) ....
(جِئْتَ من الطَّرَفِ الآخَرِ للنَّهرِ
تُرى أيُّ غَريبٍ فيكَ)
وأيّ عَجيبٍ
في هذا الجَبَليِّ الكُرديِّ
الإنسانْ ؟..

***

سُحْتَ معَ النَّاسِ
فأصْغَوا
لمَلامِحِ وجْهِكَ
وابْتَسَموا..
وبكسْرَةِ خُبزٍ
وروائحِ تَنُّورٍ
ظَلَّ ضُحى القريَةِ يَرْتَسِمُ ...

وبِكُلِّ التَرْحابِ

وكلِّ الإحسانْ ..

قادوكَ لمَعنى اللُّطْفِ

وحلوِ الوصفِ

بِهِ نَسَموا ...

و بكلِّ إشاراتِ القَلْبِ

أحَبُّوكَ

وقالوا ما يُوجِبُهُ الكَرَمُ ...

وفَهِمْتَ .....

بأنَّكَ أنتَ العَربيُّ

ومَنْ حَولَكَ ،

نحنُ الكُرْدُ هُنا

أهْلُكَ في كُردستانْ ..

***

كنتَ مع النَّاسِ بكُلِّ مَكانْ ...

.....

كانَ النَّاسُ يَمُدّونَ إليكَ
عَناقيدَ الفَرَحِ الجَبَليِّ إذَنْ
ويُحَيُّوكَ ،
لتَهْدُلَ في كَفَّيكَ
حَماماتُ التّعَبِ البيضُ
وتَنسى كُلَّ الأحزانْ ..

المختار : رئيس القرية

*زيبار: قرية على ضفاف نهر (الزاب الأعلى) في كردستان

*الزاب الأعلى : نهر يخترق وديان كردستان العراق ويصبُّ في نهر (دجلة) جنوب الموصل .

*العَبْرَة : طَوفٌ من الخشب كجسرٍ عائمٍ يتنقَّل بين ضفَّتي الزاب قرب قريتي (بُله) و(الزّيبار)

١٩٧٥

آخرُ السيّدات

حَمَلْتُكِ عَشْراً

وعَشْراً وعَشْرا..

حملتُكِ مِثلَ الطَّحالبِ

فوقَ القِبابِ العَتيقهْ ..

ودِفْءِ عَباءَةِ جَدّي

ونحنُ نَلوذُ بِها

في ليالي الشِّتاءِ العَميقَهْ ..

و(دِشْداشَتي) * والزُّقاقْ ..

فحينَ أعودُ مع الطَّيرِ عَصراً

أحُطُّ على شُرفَةٍ

فوقَ (بابِ العراقْ)* ..

***

حملتُكِ ،

كُنتِ صَهيلَ دمائي

وسَطْحي العَتيقَ

ومِنقارَ عُصفورَتي

والسّماءَ الصَّغيرهْ ..

وكَفّايَ بالحَبِّ

مَمْلوءتانْ ..

أُفَتِّتُ سُنْبُلَةً للغِناءِ

وسُنبلةً كنتُ أرقُبُها

يومَ تَزْقو العصافيرُ

في حَيِّنا

وتَطولُ الضَّفيرَهْ ..

وعيناكِ بَرُّ الأمانْ ..

تَلُمّانِ أُغْرودَتي

وأَلُمُّكِ في غَرَقي

وَنُحيلُ الحَكايا .....

الى تَمْتَماتِ الأهِلَّةِ

خَلْفَ الشُّهورِ

وشَوقِ الخُطى

وحَماسِ المَرايا ...

وخَدَّاكِ لي ..

ورْدَتانْ ...

عشِقْتُ الشّذى فيهما

بشَقائقِ مِرباعِهِ

وتَباشيرِ وعْدِ الهوى

خَلْفَ إيقاعِهِ ...

وفي الصّدرِ أُرجوحَتانْ ...

فَيا أنتِ

يا قَلَقي ....

ويا أنتِ يا أَلَقي .....

ويا أنتِ ،

لي فَرْحتانْ ..

لَثَمْتُ الهوى

مُزْغِباً فيهما

وتَناثَرتُ قبلَ الأوانْ ..

.....

أعيدي لِيَ الحَيَّ نحنُ الصّغارْ ....

أعيدي لنا أُقُحَاً

خَضَّ أحلامَنا...

ودارَ بنا كلَّ ذاكَ المَدارْ...

أعيدي لنا كُلَّ ما كانَ

من وَلَهٍ وانْتِظارْ ...

أعيدي لِيَ العيدَ قبلَ النَّهارْ ..

أعيدي لنا

كُلَّ تلكَ الدَّواليبِ

كُلَّ المَراجيحِ

كلَّ العَجائزِ في صُبْحِنا

ثمَّ صَولاتِ كُلِّ (العَجايا)* ...

وعيدِيَّةَ العَمِّ والخالِ

نَعدو بها لتَفُكَّ الحِصارْ ...

أعيدي لِيَ العِشقَ

عشقَ الصّبايا

بِطَبْشورَةٍ تَرسُمُ الحُبَّ

قلبينِ فوقَ الجِدارْ ....

دَعي السَّهْمَ بينهما

يَلْتَظي بالمُنى والضَّنى

ورَفيفِ الأَوارْ ....

.....

أعيدي لِيَ الوَهْمَ

يا زُحْمةَ الوَهْمِ

كُنتِ الأميرهْ ..

وكان الهوى قَمَراً

عاشِقاً لهَواجسِ أنْوارِهِ

والأغاني الكَثيرهْ ..

أكنتِ بهِ سَلْوَتي ؟.

كانَ بِدْءَ الهُيامْ...

ونِثارَ المُنى يومَها

حينَ رَفَّ الحَمامْ ...

فيا كلَّ مَنْ خَتَموا وَجْدَهُم

ثمَّ يا كُلَّ مَنْ صَبَؤوا بصَباباتِهم

صرتِ مِسْكَ الخِتامْ..

تَوَلَّهْتِ في أَلَقٍ دافئٍ غَرَّنا

بحكاياتِنا

وصَحونا معاً أدْمُعاً في الغَرامْ .....

---

*الدشداشة : ثوب طويل يلبسه الصبيان الصغار في كل أيامهم عادةً ، ويلبسه الكبار أيضاً .

*باب العراق : حي من أحياء مدينة الموصل .

*العجايا : صفة تطلق على الفتيان الصغار

حديثٌ خاص

(جلسنا قبالَةَ بعضِنا... وسادَ صمتٌ ثقيلْ)

في نِداءِ العُيونِ ووَمْضٍ بَخيلْ ..
لُغَةٌ وحِوارٌ جَزيلْ ..
لغَةُ الشِّعرِ والنَّثْرِ والمَعْمَعَهْ ....
لغَةُ الرّيحِ والسّوحِ والزَّوبَعهْ ..
لغَةُ الأفْقِ
يَخْفي سماواتِهِ
ويُطاوِلُ عينيكِ
في هَدأةٍ مُفْزِعَةْ ....
لغَةُ البحرِ ساهِمَةٌ
والنّوارسُ فضّاحةٌ
لاخْضرارِ الحكاياتِ والأشرِعهْ ..

***

يَتُها المُسْكِتاتُ الرَّؤومْ ...

أيَّ لُجٍّ أرى

خَلْفَ هذي التُّخومْ ؟ ...

أيَّ بحرٍ كَتومْ ؟...

ليتَ كلَّ البحارِ تُكَتِّمُ أسرارَها

فالشَّظايا تَعومْ ...

***

فاسْألي المُبْحرينْ....

هذهِ لَحظةٌ واجِفَهْ.....

غافَلَتْنا بأوجاعِها

عَبْرَ هذا الحَنينْ...

فاعْذُريني إذنْ

عندَما تَعذُرينْ ..

وافْهَمي هَدْأَتي العاصفةْ ...

فَهْيَ تَرْكِسُ في صَمْتِها

مِثْلَما تَفْعَلينْ ...

وهْيَ تَجْمَعُ أطرافَها ..

بالسُّكوتِ المَكينْ ..

وأَخافُ منَ البوحِ ،

فاللَّهْفَةُ الخائِفَةْ ...

تَمْلأُ الآنَ رُكْني الرَّكينْ ..

تَتَوَزَّعُ بينَ الحَكايا

وشاراتِها الخاطِفَهْ ..

كلُّ تلكَ البِحارِ الَّتي أبْحَرَتْ ..

والقِفارِ الَّتي أقْفَرَتْ

وأساريرِنا الرَّاعِفَةْ ..

هكذا تَسْتَكينْ ؟؟..

هكذا تَسْتَعيرُ السِّنينْ ؟؟...

غُربةً بينَ هذي التُّخومْ ؟؟..

بينَ وَمْضٍ أُنَقِّلُهُ

بين عَينيكِ في سَكْتَتي

ويُناقِلُني لِأَلُمَّ النُّجومْ ؟..

فأُكْسُري غُربتي..

قد تَعَثَّرْتُ في عَدِّها

خِفْتُ أنْ أجْمَعَهْ ..

بينَ صَمتي أنا

ونِثاري هُنا.... ،

وقفةٌ مَعْمَعَهْ....

كلُّ أسْرارِها حائراتٍ تَحومْ ..

تَدْمُسُ اللَّيلَ والعاذلينْ ..

بين لُحْمَةِ أرواحِنا

وسُداها اليَقينْ ...

فاكْسُري الصَّمتَ

لَسْنا صغاراً....

كَبُرْنا على خَجَلِ اليافِعينْ ....

وكَبرنا على صمْتِنا

وحَريقِ فَراشاتِنا

فافْهَميني ..

صَفْنَتي مُرَّةٌ

وصَهيلُ دَمي

كافرٌ في عُيوني ..

يَجْأَرُ الوقْتُ من سَكْتَتي

ويَرُصُّ دَمي فاسْمَعيني ..

.....

وارْحَمي الصمْتَ

لو تَرحَمينْ ...

١٩٧٧

يأتي ثمّ يُشير

-١-

يا نَجِيَّ القلوبْ ..

أيَرودُ الضُّحى رَأْدَهُ

أم تَغيضُ الدُّروبْ ؟....

فَبِها الطِّينُ مُلْتَبِكٌ

والمِياهْ ...

لن تَحُثَّ الخُطى

أوتَسُدَّ النُّدوبْ ...

ألْفُ أُغنِيَةٍ مُرَّةٍ

كنتُ غَنَّيتُها ....

قبلَ هذا الغُروبْ ...

أخطأَ الدَّهْرُ ألواحَها

بجَحيمِ أقانيمِهِ

ثُمَّ حَزَّتْ مَساميرُهُ

في رَقيمِ الحُروبْ ..

-٢-

يا نَجِيَّ القُلوبْ ..
غُربةُ الأرضِ في صبرِها
أوْغَلَتْ في المَتاهِ العَجيبْ ...
أكَلَ الدَّربُ ألوانَها بالحِدا
وحَفَا الخَطْبُ أسنانَها
في حِصارِ الخُطوبْ..

-٣-

ويَقولونَ
إنَّ السَّماواتِ حُبلى بأطيافِها ..
والشُّموسَ تَلوذُ بأكْنافِها ...
أ تُصَدِّقُهم ؟
فَهُمُ الوالِغونَ بما تَكْتَوي
من حِصارٍ
وما تَجْتَوي من عِثارٍ غَريبْ....

أ يُصَدِّقُهم ضاعِنٌ ؟
حُلْمُه يَكْنُزُ الحَرَّ والبَرْدَ
خَلْفَ الرُّبى
وعِباراتُهُ تَسْتَخيرُ الغُيوبْ..

-٤-

كُلُّنا في المَساقْ ..
كُلُّنا ذاهِلٌ
في الصَّدى ،
عابرٌ في سِباقْ ...
قد دَفَعنا مُهورَ النَّدى
بكَثيرِ الصِّداقْ..
ثُمَّ ظَلَّتْ بقايا من الشَّوطِ
تَعمي البُذورَ
ويَحْثو عليها الغُبارَ المَحاقْ ..

-٥-

ويقولُ السِّياقُ

انْسَحِبْ

قد تُثيرُ الأسى ....

قد تُثيرُ

الشِّقاقْ ..

فحَواليكَ مِحنَةُ صَبْرٍ

يُدارُ على مُرِّها

بالكؤوسِ الدِّهاقْ ....

-٦-

ويجنبيكَ مِلحٌ وجُرحٌ

وسَبْحٌ طويلْ ..

وأسىً لا يُطاقُ

وليسَ لِشَأْفَتِهِ

من سَبيلْ ...

-٧-

زُحمَةُ الموتِ تَنثُرُ أوراقَها
كي تَطوفَ على عُمْرِنا
في صعيدِ الزُّحامْ...،
كي تَدوفَ بأحزانِنا
ماْ يَجِمُّ الرَّدى بيننا...
ويَنُمُّ الكلامْ ...
ضاقَ فينا الصَّدى
وطَناً ...
أعطَبَ المُرُّ أرياقَهُ
وسَبَتْ روحَهُ المُثْقَلاتُ السِّجامْ ..

-٨-

في دُخانِ سماواتِنا
غَيمَةٌ
وعلى دربِها عاتياتٌ تُراقْ ..

أَتَلُمُّ المَتاهاتُ شطآنَها

طينةً طينةً

وعلى الجُرْفِ سَبْعٌ طِباقْ ؟؟....

أَعْطَبَتْ روحَنا بنواحِ الردى

وضَرَتْ سوحَنا

بجراحِ العراقْ ...

-٩-

لماذا يَسودُ السُّكونُ

إذا حَرَّكَ الخوفُ أقدامَهُ

وتنامُ شُقوقُ الزُّقاقْ ؟

-١٠-

كنتَ تَدري ونحنُ عصافيرُ

أنْهكَها القَيظُ

أنْ لا فرصةً للمطرْ ؟؟..

إنَّهُ الصَّيفُ

لُذْنا بحزنِ سنابِلِهِ

المتعباتِ

ودارَ بِنا وطناً ...

يتجعَّدُ فيهِ التُّرابُ

ويُغْلَسُ فيه الشَّجرْ ..

-١١-

أيُقاسِمُني الدَّهرُ أوجاعَهُ

في الضِّفافِ

أُشارِكُها غَرَقي في خُطايْ؟ .....

وَجَعُ الأرضِ فاتورَتي

صِرْتُ أدفَعُ

في عِشْقِها زَمَناً

وتُدافِعُني

غيرَ عابِئَةٍ بِسِوايْ ....

فهواها الذي
كان أسْلَمَني غُربَتي
اليومَ أتْعَبْتُهُ
ودفَعْتُ غَرائبَهُ
في هوايْ ....

-١٢-

سَأَموتُ
وفي جَبْهَتي أثَرٌ
من تُرابٍ
تَيَمَمْتُ فيه الظهيرةَ
في صَبْوَتي ..
ثُمَّ عاقَرْتُه اليوم
في شيبتي ..
وصَحبْتُ سرابَ عَجاجَتِهِ
في منايْ ..

-١٣-

ستباهِلُني مُرَّها الجُلجُلهْ ...

يومَ تَسْألُني عن صَليبٍ

يُشاكِلُني

ظالعاً في انْطِفاءِ السُّهولْ ...

إنَّ هذا الهوى قاتِلٌ

ويُراوِدُني لأكونَ القتيلْ ....

ليُشاطِرَني المِلحَ

والجُرحَ

والمُشكِلَهْ ...

ثمَّ أبحثُ عن فُرصَةٍ

للشَّجَرْ ...

إنَّ بي عَطَشاً

أجْدَبَ الرُّوحَ

في حَرِّهِ

ونَأَى بالمَطَرْ ..

-١٤-

عندَ هاجِرَةٍ

ما لها من مَثيلْ ...

وبمغتَسَلٍ واقِدٍ

وخرابٍ ظَليلْ ...

أدفُنُ الصَّبرَ بالصَّبرِ

هذا أنا..

في الكَثيرِ الذي

قد أضَاعَ الدُّنى

والقليلْ....

ومحاطٌ من الخَلْفِ

أنْ أسْتَديرَ

وبالأهْلِ أنْ أستَديرَ

ومِنّي

إذا عُدتُ للخلْفِ

كيفَ السَّبيلْ ؟....

والصِّراطُ الذي أرتَجيهِ
اسْتَقامَ على شَعْرَةٍ
وأراعَ الدَّليلْ ...

-١٥-

وبريحِ البِلى
تَطْحَنُ الأرضَ في عصْفِها
وهَديرِ الرَّحاةْ ..
وفُرادى بأسْمائنا
في الدَّياجيرِ
والعاتياتْ ..
نَتَنادى بأحلامِنا
وغَوائلِها إذْ تَغولْ ..
أعْتَمَتْنا الدِّيارُ
بما أعْتَمَتْهُ البحارُ
وما بَعْثَرَتْه السُّهولْ ...

-١٦-

كيف تَسْمَعُني شاهداً

أيُّهذا العجولْ ..؟ ..

ضاقَتِ الأرضُ في لَيلِها

بالعَنا وضَجيجِ الطُّبولْ...

أهْدَروا دَمَها المُشْتَهى ...

ونَعَوا وَطَناً فانْتَهى ...

ضاعَ فيهِ الشُّهودُ العُدولْ ..

١٩٧٥

صورة

كانتْ غِيطاناً وبَساتينْ....
سِربَ عصافيرَ مُلَوَّنَةٍ
ورؤىً مُخْتَضَبهْ ..
كانتْ سُدُماً زاهِيةَ الإشْراقْ ....
أُتْبِعُها خَلْفَ البحرِ فَناراتي
بسرابٍ بدويٍّ وحَنينْ...
يَعمَلُ في صحراءِ القلبِ
ويوغِلُ بالأشواقْ ....
.....
يا سُحُباً فاقِعَةَ المُزْنِ ،
ويا شمسَ مداراتٍ
غامِرةٍ باللَّحنِ ،
ويا أمطارَ الحُلُمِ
المُنْتَهَبهْ ...

أعْشَبْتِ شبابيكَ صِبانا

في بُستانِ الوَجْدِ

زَحَمْتِ بأحناءِ خُطانا

حَدَقاتِ العَتَبَهْ ..

ومضى الغَمْرُ

وداستْ عَجَلاتُ العُمْرِ أضالِعَهُ

وجميلَ مناهْ ...

لتَرُجَّ بهِ التَعَبَ الدَّائمَ

يُسراهُ ويُمناهُ

وتُثْقِلَهُ بمفاتيحِ رؤاهْ ...

نَحْطِبُهُ بغُموضِ الغابِ

وحُلْمِ الحَطّابِ

وصُبْحٍ يَعْرى ...

وبغُزلانٍ هارِبَةٍ

من جَفْلَةِ صَيّادِ

ظلَّ يُغازِلُها ونَنوءُ ونَضْرى ...

بشؤونِ عاشِقَةٍ وعَواذِلِها

وغُصونٍ سامِقَةٍ وعَنادِلِها

وفصولٍ أُخْرى ...

غادَرَها العُصفورُ

وأيْبَسَ بَعضَ عَرائشِها النّاطورُ...

وتُرسِفُها الذِّكْرى ..

.....

نَحْسبُ أيّاماً

ونُنادِمُ سَلْواها

بِزَوابِعَ يَنْثُرُها الرَّملُ

تُخوماً مُسْتَلَبهْ ..

تَحْدونا لسَفائنِ تيهٍ

تَهْدرُها الشُّطآنُ

وتَرمينا للبحرِ المارِقِ

مَكْتوفينَ

ولا يَرمي الجُرفُ لنا خَشَبَهْ ..

حكاية

في البَدْءِ أنا ،
أَحْكي عن هَوَسِ الأرواحْ ..
بكَحيلٍ وَسْنانٍ
أُثْقِلَ بالرُمَّانِ
وحُلوِ الأركانِ
وإثْمِ التفاحْ ...
مِنْ غَضِّ خُطاهُ صغيراً
وإلى غَضِّ الطَّرْفِ كَبيراً
جَرَّرْتُ العُمْرَ محطّاتٍ
وكتبْتُ له صَفَحاتْ ...
من عَبَقَ السّوحِ
ومن ألَقِ الرُّوحِ
وحُلْوِ الأوقاتْ ....
بجَناحٍ يَضْربُ بالشَّوقِ جَناحْ ...

***

يا أوّلَ فاتِنَةٍ

ملأَتْ ذاكِرَتي

ورَمَتْ ناعورَ الخُضْرَةِ

في حَرِّ سُطوري ...

سَفَحَتْ خاطِرَةَ الشِّعرِ

مراياها

وتَرامَتْ في النَّزَقِ الفوّاحْ ...

***

يا أوّلَ ساكِنَةٍ

تَتَفيَّأُ في نَفْحِ دمي

وظَليلِ عُطوري ....

في زُحمةِ أيامي

وقناديلِ السَّعْدِ

وزَهْوِ الأفراحْ ...

***

يا شُبَّاكَ الصُّبْحِ

بذاكَ الفُصْحِ

وتلكَ الشُّرُفاتْ ...

يأخذُني هُبَلٌ لطوالِعِها .....

ويُوَلِّهُني هَبَلٌ

بجميلِ الكلماتْ ..

أتَقَرَّبُ زُلْفى

لأميرتِها

وأطوفُ بضيْعَتِها

نَسَماً وحياةْ ..

حتى لو ضاعَتْ روحي

وأضاعَتْني ....

لا تويةً

عن جذوةِ صبري

وحَريقِ الصَّبَواتْ....

.....

فضُروبُ العِشقِ

تُعيدُ رُفاتي

جارِحةً جارِحَةً ..

تحصُدُني بمناجِلِها

وعَواجِلِها...

قَسَماً بالعِزَّةِ واللّاتْ ...

بستان الروح

يا غِنْوةَ عُصفورٍ
صَفَّقَ جُنْحَيهِ
وأودعَ سِحرَ خفارَتِهِ
شبّاكَ القلبِ
وراحْ..
نَقَّرَ حَبّاتِ الرّوحِ
وأغلَقَني
للشَّيبِ ،
أفتِّشُ بُسْتانِ الرّوحِ
عن السَّوحِ
وعن رَمَقِ المُفتاحْ ..
عن وَجْدِ الأمسِ
وربَّانِ الشَّمسِ
وصَبرِ الملّاحْ ...

.....

للآنَ وظِلُّ الشَّيبِ

أغانٍ

تتَكَتَّمُ فيَّ

بكلِّ السّاحاتْ ..

ساحَتْ أطْيافاً

ونَطَرْتُ العُمْرَ

بأحناءِ الصبرِ

حنايا وبقايا سَرَحاتْ..

تذكُرُ رِفَّةَ ذاكَ الحالِ

وسِحْرِ الموَّالِ

بتلكَ السَّاعاتْ ...

أذكُرُ قَلبينِ وسَهْماً

وتَلاوينَ طباشيرَ

تخُطُّ صبانا في الأسْطُحِ

خَلْفَ الغَدَواتْ ...

لا نَرْحَمُ سِتْرَ الحيطانِ

ولا شَجَرَ الجيرانِ

وغَفْلَتَهِم ...

بل نَهْمُسُ قُبْلَتَنا في السِّرِ

ونَخْتَصِرُ الصَّبَواتْ ..

.....

أطفالاً نَعْبَثُ مَرّاتٍ ..

ونَلُحُّ بإثْمِ وَكاحَتِنا

مَرَّاتْ ...

حُلُم

يا ليلَ مَواقِدِنا
ومَدانا المفتوحْ ..
عن رُخٍّ تَفْقُسُ بَيضَتُهُ
ويسامِرُهُ
ألَقٌ
ونِداءٌ مَسْفوحْ ..
لحَكايا الخالَةِ يأخُذُنا
بجبالِ المِلْحِ
وأعماقِ السَّفْحِ
وتَغْمُرُنا الواحاتْ ..
في جُزُرٍ يَسْكُنُها الرَّعدُ
وتَحفلُ بالأحمرِ والأخضرِ
والظَّالِعِ بينَهما
ووَميضِ فَناراتْ ..

لشواطئَ

يُسْلِمُها ليلُ مواجدِنا

هَمْسَ مَخَدّاتٍ ناعِسَةٍ

تُوغِلُ في قَسَماتِ العَومِ

بمَحظورِ الطُّرُقاتْ ....

تَحلمُ قبلَ النومِ

بوجهِ ضُحاها مُؤتلِقاً

ونَشيدِ سماواتْ ..

عن قَدَرٍ

لابُدَّ وآتٍ

في عاجَلِهِ

وصباحٍ آتْ ...

سَألُمُ تُرابي

يا ليلاً عَفَويّاً يُغْويني
ويَرودُ عُبابي ....
أتُنادِمُني بمَغاليقِ الحُلْمِ
وغَبْرَتِهِ ؟..
لأَضُمَّ عَناويني في صُحبَتِهِ
وألمَّ عِتابي ..
أتُلازِمُني بضَليلِ ضَبابي ؟...
يا وجهاً أدْمَنَ فيَّ
مظَلَّتهُ ورُؤاهُ
وأصْدى أزْماني ....
أتُعيدُ مداراتي حاميةً
لجديدِ رِهاني ؟..
أقُطوفُ الفجرِ تُعَمِّدُني
لأرى ضَوءَ نَضارَتِها وتَراني ؟ ..

حَقْلُ صَهيلي يخْتَزِنُ الشَّمْسَ
بموسيقى العُشّاقِ الوَرِديّهْ ..
حَقْلَ فساتينَ مُلوَّنَةٍ
في هَمْسِ صَبيٍّ مَسْكونٍ
وهُيامِ صَبيّهْ ..
في الجَفْلةِ والغَفْلَةِ
أرقَبُها وأُناغِمُها
وزوايا الحيطانْ ..
في غَمَزاتِ الصِّبْيَةِ
أو سِفْرِ بُيوتٍ تَتَساوَقُ
في شَذَراتِ النسوانْ ...
سِرَّ ملاذاتٍ
خَلْفَها الحبُّ حوالينا
ونُحبُّكَ .....
واللهِ نُحِبُّكَ
يالصيف الحنَّانْ ..

رغم عيون النّاسِ نُحِبُّكَ

رغم حكاياتْ ....

تغمزُها الأشعارُ

وتكتُبُها الأسمارُ

سحاباتٍ سامِرةً وروايات ..

ظَلَّتْ منها بِضْعَةُ أوْطارٍ

بمقيلاتْ ...

في هَبَواتِ الظِّلِ

بقِيّهْ ..

في الزُّرقَةِ

فوق سُطوحِ الحَيِّ

وفي الغَيِّ

وأطرافِ خُيوطِ الطَيّاراتِ

الوَرَقِيّهْ ..

في شاي العَصْرِ

وفي لَمَّةِ كلِّ الجَاراتْ ...

أو بعضِ رسائلَ
تغزُلُها الريحُ
وتمخَرُها السوحُ
وتَنْثُرُها للَّغو سماواتْ ...
.....
يا بَخْتَ النمّامينَ
ويَخَتَ النَّظامينَ
وبَختَ طقوسِ الأبديَّةْ ...
بَعضَ الوقتِ نُجَدِّدُها
لتُعيدَ لهذا الشَّيبِ طلاوتَهُ
فزواياهُ المخبوءةُ
مَرَّاتْ ....
تكفينا بنَداوتِها ...
مذْ جَفَّتْ صولَتُنا
في نَبَضَاتِ الأمسِ
وماتَ صهيلُ الغَزواتْ ...

رُؤايْ

أمآربُ أعمارٍ
تُمْسِكُ بالنَّفْسِ
وتَرهِنُ بَعْضَا ؟.....
أتُراهِنُ كلَّ صَواهِلِها
بكواهِلِها ؟.
لا الصبرُ يُحاورُها بالسِّعرِ
ولا الناسُ بها تَرضى ..
سأَهُشُّ بِها قَلَمي
أَتَوكَّأُ بالشِّعرِ عليه
وقطعانُ مُنايْ ...
سأَروضُ بها الأوزانَ
أعوذُ من العَثْرةِ
في ميزانِ حُداها
وألوذُ بصبرِ عَصايْ ....

سيَجُرُّ القهرُ

جوى دَهْرِي

ويَعَضُّ على جَذوَةِ روحي

في منفى العُمرِ

فمَرعاهُ جَوايَ ..

بالشَّاردِ في بَرِّ دمي

والوارِدِ في حَرِّ فمي

والصّامِدِ

في جمرِ أسايْ ...

أتُحَدِّقُ قارئةُ الفألِ بكفيَّ ؟؟

عَساها تَقْرأُ ماشِطَةَ الرّوحِ

لأَدرأَ خارطةَ العُذرِ

عسايْ ....

غربة

بحَريقِ حُروفي .....

وعَتيقِ رواياتي ....

أدفُنُ يا وطني أسْرارا ..

شَرَّقْتُ وغَرَّبْتُ

ورُمْتُ شُروخي

فوقَ مَسارِحِها.....

إقْبالاً في السُّوحِ وإدبارا ...

وتغَنَّيتُ بها

وتعَنَّيتُ لها

آنَسْتُ بها نارا.....

ناموسُ الغُربَةِ ألزَمَني

بمعالمَ باهِتةٍ

آثَرَ مِزْحَتَها

وتَعَتَّقَ أسْوارا ..

عِشْتُ السَّادِرِ والغادِرَ فيها

حَدَّ الفاعِلِ في الصَّرفِ

وحَدَّ المَمنوعْ ...

عِشْتُ الغابرَ عَطَباً

والحاضرَ في بَخْسٍ مدفوعْ ...

نَثَّرَ قافيتي في السَّيلِ

ووَزَّعَني أشْطارا...

في نُطَفِ الصُّبْحِ الجَارحِ

جرَّحَني

فِي قاموسِ الشَّمْسِ

وعَسْعَسَ أشْعارا ..

في طوفانِ الأحلامِ

وقارِعَةِ النَّدَمِ المَوجوعْ ..

أهْداني سَطْوتَهُ

المَسنونَةَ بالجَمرَ

ومُرِّ الجوعْ ...

عَدَّدَني

ثم رماني لأعَدَّ حُروفي ....

بطرائقِها وحرائقِها

ومَريرِ قُطوفي ...

هدَّدَني بالتِّيهِ

وتأريخُ الغُربَةِ هَدَّ سُقوفي ...

ضيَّعَ أبوابَ الدَّهْرِ

وأعْتَمَ أخدودَ العُمْرِ

بهذا الوطَنِ المَفْجوعْ ..

١٩٧٧

وأنا .....

أنادِمُ عُتْمَتين

(١)

وأنا أُنادِمُ عُتْمَتينْ ...

ودَماً ، يُناوِرُ- بَينَ بينْ - ...

وطَني

يَسيلُ على الشُّقوقِ

مع المطرْ ...

وأزيزُ قُنْبُلَةٍ

يُصَفِّرُ حِقدُها في الرِّيحِ

تَعصِفُ بالسّطوحِ وبالسّفوحِ

وبالصَّفيحِ وبالشَّجَرْ ...

***

ويَجيءُ صوتُ الطّائراتِ
فتَسْتَجيرُ فَراشةٌ حَيرى
بفانوسٍ عتيقْ ...
ذبُلَتْ حرارتُهُ
وأخْلَدَ في ثَقيلِ جُفونِهِ
اللَّيلُ العَميقْ ...

***

أيَطولُ صَمتُ الأرضِ ؟..
تَنْتَظِمُ القُطوفُ
مع الصُّروفِ المُقْبلهْ ؟...
أنَـلُمُّ أعماقَ السُّكوتِ من البيوتِ
ومن إشاراتِ الوجوهِ المُقْفَلهْ ؟...
فَرَطانَةُ الأقْفالِ
تَغْرقُ في انْتِظاراتِ الهَديرْ ...
في خَفْقَةِ الدُّنيا
ورَجَّاتِ السُقوفِ المُذْهِلَهْ ...

***

مُذْ غامَ سَمْتُ الكائناتِ

بِلَمْحَتينْ ...

الصَّمتُ رَجَّ فضاءَه الدَّمويَّ

عَصْفُ القُنْبلهْ ...

خوفي يُخَرْمِشُ

في زوايا الخَوفِ

يَبْعُدُ عن لِحافِيَ

خُطْوتينْ ..

يرْنو لأرصِدةِ الحتوفِ ،

تلوذُ خَلْفَ البَسْمَلهْ ...

وتَنوءُ بالكلماتِ

كلَّ إشارتينْ ...

تَـلظى شِفاهُ العالِقينَ

بآيةِ الكُرسِيِّ

تَقْرَعُها النَّوافِذُ مَرَّتينْ ...

وجَعاً

يُنَثِّرُ في الشَّبابيكِ الرَّهيبةِ

مِحنتينْ ...

بِهما تَرامَتْ صورةُ العَتَماتِ

أحداثاً مُعَتَّقَةً

دِهاقاْ ...

ضاقَتْ أهِلَّتُها دماً

وخَبَتْ مسارِحُها مَحاقاْ ...

أثْرَتْ سماءَ الخوفِ

بين عُروضِها

وفُروضِها

سبْعاً طِباقاْ ...

أصغَتْ وراءَ شُهودِها سَمْعاً

وهزَّتْ طائراتُ الليلِ

أسراها

بِعَصفِ الغارتينْ ...

(٢)

خَنَسَتْ مَغاليقُ الكُوى الخَفِراتِ
لاذَ الوقْتُ
بالقلَقِ السَّحيقْ ...
يَهمي بأكتافِ الظَّلامِ
وصرخةِ الحُفَرِ العَميقَةِ
أو صياحِ الرِّيحِ
في هَذا الحَريقْ ....
في الكائناتِ السّودِ أشباحاً
وليلُ الحُسْنَيَينْ ...
يَتَبادَلُ الأثْمانَ عن زمَنٍ
جَرَعْنا مُرَّهُ غَصَصاً
وأطْفأْنا ودائعَهُ
بإبْراءٍ ودَيْنْ ...

نَثَرَتْهُما الصَّفَقاتُ

في أثْقالِها قَدَراً

وتجْفَلُ من رُؤانا القابِلهْ ...

لتُحَدِّثَ الأكوانَ

عَمّا تَجْتَويهِ

وتَقْتَويه المُكْرِهاتُ

الآجِلهْ ....

لتُحَدِّثَ الأزمانَ عن وطنٍ

حَرَثْنا حُرَّ طينَتِهِ

وكادَ اليومَ

خَلفَ سِتارَةِ الأوهامِ

يَحرثُ جُرحَنا بالرّاحتينْ ...

وطنٍ تَكَسَّرَ في العُروقِ

وفي الشُّقوقِ

وظَلَّ يَنْقُلُ عَرضَهَ الميؤوسَ

من عَينٍ لِعَينْ ..

(٣)

أطفَتْ عَقيرَتَها
عَقارِبُ ساعةِ الحيطانِ
واخْتَبأتْ
وراءَ الحَوقَلهْ ...
وَتثاءَبَ الوقتُ الثَّقيلُ ،
يُمَرْجِحُ البَندولَ
والبَندولُ
يدفَعُ كلَّ دامِسةٍ
لزوايةِ الرُّؤوسِ المُثْقَلَهْ ...
أَندورُ أسْباطاً
وتأكلُنا الذّئابُ
ونحنُ نَلعبُ
في سِحاقِ الدّاجياتِ
المُقْبلهْ ؟ ...

لا المَنُّ لا السَّلْوى

ولا الوادي المقدَّسُ

يَقْصُرُ البَلْوى

فتنزعَ في بلاطِ الرَّبِ نعْليها

ولا حتى قياماتُ التَّواصلِ

والوصايا المُنْزَلهْ ..

فَوَراءَ أصْلابِ الخَرائطِ

في التَّليدِ وفي الثَّريدِ

رأيتُهم يتدافعونَ

ويَدفعونَ بلادَهم للمِقْصَلَهْ ...

ثَمَراً تَعَمَّدَهُ الخَراجُ

ونالَ منهُ النَّوءُ

حتى أثْمَلَهْ ....

سيظلُّ يَسْتَرِقُ الوعودَ

وحولَه تَتكدَّسُ الأفْياءُ

في شتّى المَراصِدِ والصُّورْ ..

بَشَراً يسيلُ

على محطاتِ القرونِ

مع القَدَرْ ...

قَدَراً تعَثَّرَ

في المَحامِلِ والمَعامِلِ

والمَزاوِلِ والمَعاوِلِ

وانْكَسَرْ...

في الرّاجفاتِ من الرُّعودِ

وفي الصُّعودِ على النُّجودِ

وفي الهبوطِ مع الخُيوطِ

وفي ضَبابِ المَهزَلهْ ...

قَدَراً أناخَ على الحروبِ

أضاعَ مفتاحَ الخواءِ

وضاعَ

وَسْطَ الزَلْزَلَهْ ...

(٤)

تَنْبو الفُصولُ عن الفصولِ
وتَسْتَشيطُ بنا الصُّوَرْ ..
ليتَ الفتى حَجَرٌ
وليتَ العُمرَ
سالَ مع الغَرائبِ
قبلَ أنْ تَعْدو بهِ هذي المَبازِلُ
وانْتَحَرْ ....
فالله يا هذي المَساحةُ في الهوانِ
تَثاءَبَت أكوانُها
ذُلاً
ويا هذا المَضيقْ ....
حُلُماً تَدلّى في سطورِ الرُّعبِ
مَشنوقاً
وأوغَلَ في مساراتِ الحريقْ ..

نَطَرَ الشهودَ من العُمومَةِ

وابْتلاهُ الهَولُ

من نِقَمِ الخُؤولَةِ والشَّقيقْ ...

نَطَرَ السَّبيلَ

وَناطَرَ الأفقَ المُناكِدَ

بالثُّغاءِ وبالرُّغاءِ

وبالضَّفادعِ والنَّقيقْ ...

يا ليتَه قَفَلَ الجُرودَ

فلا حُدودَ لكلِّ هذا المُشْتَجَرْ ...

بلْ لاحدودَ لمَنطِقِ الذُّؤبانِ

كاد عواؤها

يُضري السَّمواتِ المَطيرةَ بالمطرْ ...

يُضري الذُّهولَ

ويُغْرِقُ الظُّلُماتِ

تَقْبَعُ في مَخانِسِها

ويَخمِشُ بالجُلودِ المُمْحِلهْ ...

ويَعودُ صوتُ الطائراتِ

بطائراتٍ موغِلَهْ ...

بالقَصفِ تَقْتَرِحُ الحلولَ

على العَبيدِ الآبقينْ ....

فمَنِ الضَّنينُ ؟

وحارِسُ اللَّهَواتِ

أُوتِيَ بالشِّمال كِتابَهُ ؟....

سَيَفوجُ في الحَشْرِ القَطينْ ..

ومَنِ اليَسارُ ؟

مَنِ اليَمينُ ؟

تَعافُ لُحْمَتُهم سُداهُمْ

يُؤْرِقونَ شُطوطَهم

فَيَلُفَّها الحَبْلُ الوَتينْ ....

بالموتِ يَفْتَرِعُ الطُّبولَ

ويُرهِقُ الجيناتِ

بالدَّمِ والشَّرَرْ ..

واللهِ والتاريخِ

والفَجرِ المُساوِمِ والمُقاوِمِ

والحَجَرْ ...

وخَوائنا

ونَلوذُ من شَرِّ اللِّئامِ بغاسِقٍ

وَقَبَتْ كواتِمُهُ

وفارقَهُ القَمرْ ...

المُعسِراتُ تَسَوَّرَتْ أيامَنا ...

دَمِيَتْ كُلاها

وهي تَلْهَثُ

في سَحيقِ المُعضِلهْ ...

أيَسومُها الأغْرابُ

والأعرابُ

في الغَدرِ الصَّدوقِ

وفي المَمَرّاتِ الصَّفيقَةِ

أو شَهيقِ البوصَلهْ ؟ ..

(٥)

يا صَبْرَ قائظَةٍ
وجَمْرَةَ قابِضينَ على ظَعائنِهم
وغُربَةَ حَنْضَلهْ ...
ألآنَ أسألُكِ البِدارَ
أقولُ : ما أبقى عليَّ
ولا عَليكِ ...
فالطَّائراتُ
ومَنْ يَقودُ فَضاءَها
نَثَرَتْ وقائعَها دماً يَرنو إليكِ ...
حَمَلَتْ رَسائلَها
وقالتْ ما لَدَيها في الرُّجومِ
فَما لديكِ.؟؟..
قد صُمْتُ دَهْراً عن سُؤالِكِ
واعْتَكَرْتُ بلا ثَمَرْ ....

مُذْ دارَ ظِلُّكِ

في مساحاتِ الدَّقائقِ

بالحَرائقِ وانْتَثَرْ ...

يا طَعْمَ والِغَةٍ

بِمُصْطَرَعِ الوُجومِ

بيوم يوغِلُ بالشَّرَرْ ....

أيَضوعُ شوكُ العاتياتِ

بما تَعَسَّرَ من دُيونٍ

أوْجَبَتْ هذي المَواجِعَ

في تَوَجُّعِها إليكِ ؟؟..

مُـرَّاً

أمَرَّ من الأمَرْ...

سَيَظَلُّ بين الشَّكِ والجَدوى

يُسامِرُ فَحْمَهُ غَمّاً

ونَسْمَرُ قانِعينَ

بلا قَضاءَ ولا قَدَرْ ..

(٦)

قد كان عَسْفُ الدَّهْرِ سِجّيلاً
أبابيلَ المِراسْ ...
وأضاعَ موقِعَنا من الإعرابِ
حتى لا الطِّباقُ
يَعيثُ في قَدْرِ الجِناسِ
ولا احْتمالاتُ النِّفاسْ...
في مِحْنَةِ اللَّيلِ المُوَزَّعِ
بين قيسٍ أو مُضَرْ ...
ليتَ الفتى حجَرٌ ليَخنُسَ
بين أطْرافِ المَسالِكِ والحُفَرْ ...
ليُضِلَ ذاكِرَةَ الأوانِ
فليتَها تَئِدُ الهُمومَ
إذا أتَمَّتْ صبرَها الدَّاجي
تُخومُ المُعْضِلهْ ..

في جَذوَةِ الكَدَماتِ

أو دَربِ المَزاميرِ الحَريفَةِ

والشِّعابِ المُرمِلَهْ .. ...

سَنَدُسُّ أعناقَ الخنادِقِ والفَيالقِ

في زُحامِ الأسئلهْ ..

قد عاقَرَتْ أوْضارَها

وتُخومَها وَسْطَ الظَّلامْ ....

بغَضارَةِ اللَّهَبِ المُحاصرِ بالرّمادِ

ينوءُ في هذا الرُّكامْ ....

في مَحْفِلِ الغَمَراتِ

في الفَلَواتِ عَطْشى

في الطُّلولِ السَّافِياتِ بها مَحارِقْ ..

يحدو الحُفاةُ لها بَقاياهم

من الأمَدِ المُبارَكِ

في احْتِضاراتِ القُرونِ

إلى مسارات الدَّقائقْ ....

ونُصَدِّقُ الأُفُقَ الحَميمَ

وبارقاً يَحدو بهذي القابِلَهْ ....

تحدو البَيادِقَ كُلَّها

والحابِلينَ

إلى مَخاضاتِ الحَرائقْ ...

أنُصَدَّقُ الرُّؤْيا تَسُحُّ عُروضَها ؟

ويُفَسِّرُ السَّاحاتِ أصحابُ الملاعِقْ ..

يا بؤسَها الحُقَبُ الدَّميمَةُ

والمشاويرُ الوخيمَةُ

والحُظوظِ المائلهْ ...

في حُظْوةِ الصَّدقاتِ

ساقَتْ مُزْنَـها

بِيَدٍ وراءَ الغَيمِ لم تَبْرُقْ

وظَلَّتْ تَسْفَحُ السُّحُبَ الصَّفيقَةَ

في دُروبِ السَّابِلَهْ .....

محطة حياة

٢٠٢٤/١١/٦ ميلادي في الحاضر)

- ٦ /١١/ ١٩٤٥(ميلادي في الماضي)

٧٩/٠٠/٠(عبد الوهاب اسماعيل)

مَرَّتْ قبلَ السَّبعينْ ..

حُزمةُ أصفارٍ

يَحسَبُها الناسُ عليكَ

سِنينْ ..

يَصحَبُها خَطّانِ (../../..)

يَميلانِ عليكَ كَحَزِّ السكِّينْ ..

سيَقولانِ لهذا العامِ القادمِ

من رَحِمِ الغَيبْ ..

ماذا تَحمِلُ في عُبِّكَ .؟

ممّا يَصْلُحُ للشيبِ

ويُصْلِحُ في الشيبْ ..

سيقولانِ لهُ

ماذا تحملُ للوَجَعِ الأجْرَدْ .؟

فلقد هَدَأَ السَّمْعُ وراَنَ الحُزنُ

وعاثَ بِحَيرَتِهِ

الخيطُ الأبيضُ

والخيطُ الأسوَدْ ..

ماذا تَحمِلُ للرَّجُلِ اليَنْجَحُ

في القِسْمَةِ والضَّرْبِ

ويفشَلُ في عَدِّ الأحلامْ ؟..

وهو الصّفْرُ الأيسَرُ

بين الأرقامْ ...

والأرقامُ كما تشْهدُها

بائسَةً تَتَهَجَّدْ ..

سيقولانِ له بجميلِ خِطابْ ..

يا هذا العامُ الحائرُ

والمُرتابْ ..

هل تُطلقُ طائرَ روحِكَ

وَسْطَ ضَبابْ ؟..

ماذا تحمِلُ للمِسْكينِ المَدعو

عبدَالوهابْ ..؟

والخطّانِ (../../..) يميلانِ عليهِ

وغُربةُ كلِّ الأصحابْ ..

.....

ستحاصِرُهُ الحِبْكَةُ

في هذي المَلْهاةْ ..

ويحاصِرُهُ النَّصُّ وعُقْدَتُهُ ..

وغَريباً سَتُحاصرُهُ السَّنواتْ ..

سيُحاصِرُهُ المَشْهَدُ

والمَشْهَدْ ..

إيّاكَ وأنْ تَشْهَدْ ....

إيّاكَ وأنْ تشْهَدَ أو تَخْتارْ ..

.....

هذي الخارطَةُ الدَّمويَّةُ

عَبَثٌ وتَراكُمُ أصفارْ ..

والدَّهْرُ كما تَعرِفُهُ ..

لا يُصْلِحُ ما أفْسَدَهُ العَطّارْ ..

.....

والرَّقْمُ مُجَرَّدْ ..

٢٠٠١

وطن

يارِهَانَ الحبِّ
أعشى النَّوءُ شُبّاكَ الحَبيبْ ....
أضْلُعُ الغُرْبةِ شاخَتْ
وكَبُرْنا
والْتَوى الدَّرْبُ القَريبْ ....
أضلُعُ الغُرْبةِ شاخَتْ
وانْحَنينا ....
وانْحَنى هَمُّ الزَّمَنْ ....
خَرْيَشَتْ أعْمارَنا
هذي الحُروباتُ
ونالَتْ مِن أغانينا .....
وَطالَتْنا سماواتُ المِحَنْ ....
أضْلُعُ الغُربةِ شاخَتْ ،
والزَّمَنْ ...

صار يَشْكونا إلى صَمْتِ مَراياتا

أنَشْكوهُ ؟ ...

إلى ماذا ؟

وَمَنْ ؟.....

مُذْ رَميناهُ على دَرْبِ أعادينا

كَسَرْنا ساعِديهْ ....

حَقّهُ أنْ يَذْرِفَ الدَّمعَ علينا ....

حَقّنا

أنْ نَذْرفَ الدّمعَ عليهْ ....

فَلِمَنْ نحنُ ؟

لمَنْ ؟....

هذه الخضراءُ والماءُ

دوارُ العِشقِ

والعُشّاقُ

والنُّدْمانُ

والوجهُ الحَسَنْ ؟ ....

ولمَنْ شجْوُ الحَيارى

والسُّكارى ...

واحتدامُ الفجرِ

في لثغةِ عصفورٍ

ورنّاتُ خلاخيلِ العذارى ؟....

ولمَنْ حتى مواويلُ الشَجَنْ ؟

***

أضْلُعُ الغُربَةِ شاخَتْ

ياعراقَ المُبْتَلى والمُمْتَحَنْ ..

أنتَ مَنْ وَرَّطَنا بالحُبِّ

أسْمانا لهُ جُنْداً

وأسْمَينا حَناياكَ وَطَنْ ....

ملحق
كتابات نقدية عن المجموعة

التنافذ
في مجموعة لابد من لابد
للشاعر عبدالوهاب اسماعيل

أ . د. إخلاص محمود عبدالله
أستاذة الأدب العربي الحديث
كلية الآداب/ جامعة الموصل
ekhlas_m79@yahoo.com

Dr. Ekhlas Mahmoud Abdullah
Professor of Modern Arabic Literature
College of Arts / Mosul University

ملخص البحث :

يتضمن البحث الموسوم بـ (التنافذ في مجموعة لابد من لابد للشاعر عبد الوهاب اسماعيل) تحديد معنى التنافذ في شعر الشاعر، لأنه يتخذ مسارات عدة في دلالته وهي :

_ التنافذ المادي من استعمال النافذة في الشعر، وهذا يشير إلى الاستعمال الرمزي لها لأنها تشكل فضاء مهما بين عالمين ، ينفذ من خلالها إلى عالم آخر.

_التنافذ المعنوي الزمني من استعمال الحلم في الشعر لأن الحلم يفتح نافذة على عالم آخر.

_ التنافذ النصي ويقصد به تداخل النصوص وتناصها من نصوص أخرى تتشكل منها

نسمات ممزوجة بمعالم ثقافية وحضارية وإنسانية تربط الحاضر بالماضي.

وهذا التنوع لمعنى التنافذ يفتح افقا واسعا ويشكل فضاء حالما في شعر الشاعر إذ يتوزع هذا التنافذ على مسارات الدلالة الشعرية التي تنمي الرغبة في مواصلة البحث والكشف عنها في شعره إذ يدل على سعة شعره واحتوائه دلالات عدة للموضوع ، وبهذا يمكن ان نطلق على الشاعر لقب شاعر النافذة أو التنافذ من توظيفه للموضوع بكثرة في شعره .

الكلمات المفتاحية : التنافذ ، النافذة ، التنافذ المعنوي، التنافذ المادي ، التناص

Abstract

Our research, which is tagged with (Al-Tnafiz in a group Labud mn Labud for the poet Abdel Wahab Ismail) must define the meaning of osmosis in the poet's poetry, and that it takes several paths in its significance, which are:

_ Physical osmosis from the use of the window in poetry, and this refers to the symbolic use of it because it constitutes a space between two worlds, through which it penetrates to another world.

_The temporal semantic osmosis from the use of dreams in poetry, as the dream is a window into another world.

_ Text osmosis means the overlapping and intertextuality of texts.

This diversity of the meaning of osmosis in his poetry indicates the

capacity of his poetry and its containment of several connotations of the subject, which are distributed over the poetic connotation paths, and develop the desire to continue searching for it.Thus, we can call the poet a poet of the window or osmosis , because of his extensive use of the subject in his poetry

مدخل :

يأتي التنافذ من المعنى المعجمي للفعل (نفذ) في القول: "نفذَ السهمُ الرَّميةَ ونفذَ فيها ينفذها نفذاً ونفاذاً: خالط جوفها ثم خرج طرفهُ من الشق الآخر وسائره فيه".

(ابن منظور:٣/٥١٤) (Ibn Manzur:3/515)

ويظهر ايضا المعنى اللغوي للتنافذ بمعنى اختراق البصر كما في قول الكسائي: "يقال نفذني بصرهُ ينفذني إذا بلغني وجاوزني وقيل: أراد: ينفذهم بصر الناظر لاستواء الصعيد.".

(ابن منظور: ٣/ ٥١٥)

(Ibn anzur:3/515)

وبهذا يقدم المعنى المعجمي لـ(التنافذ) المعنى الأول ماديا ملموسا ، وهو من اختراق السهم وأيّ شيء آخر، والثاني معنوي من اختراق البصر، فالتركيز يأتي على فاعلية الاختراق

بشكلها المادي والمعنوي ، فهو الاختراق الذي يكون عن طريق آلة ما أو بالعين التي تمثل قوة نفاذ البصر، وهذا ما نراه من استعمال الشاعر كذلك للعين بوصفها منفذاً للرؤية ومدخلاً إلى النفس ، فتشكل آلة تتوسط عالمين عالما تطل منه على العالم الخارجي المادي الطبيعي ، وآخر على الداخلي الروحي.

نجد معنى (التنافذ) من الناحية العلمية أنه صافي حركة انتقال جزئيات الماء عبر غشاء نصف نافذ،

(التنافذ، ar.m.wikipedia.org)

فهو يفيد أيضاً اختراق الشيء وتداخله ، وعزز بذلك المعنى اللغوي أيضا.

وننتقل إلى النص الشعري لنعرف كيف احتضن معنى التنافذ وكونه الشاعر في تشكيله الشعري ، فالنص التنافذي يعني "النص المعبر عن حالة المتلقي المعاصر الذي شكلت ذائقته

الجمالية والمعرفية خبرة متسعة ومهارات قرائية مختلفة مكنته من التفاعل بإيجابية مع هذا النص"

(حسن، www.iraqicp.com)

أي إن النص قد نفذ إلى المتلقي فعبر عنه ، أما فكرة التنافذ بمعناها العاطفي فهي: "الذهاب للآخر والاتصال به شعوريا"

(العقيلي، alrai.com)،

عند ذاك يكون الاتصال تنافذا روحيا بين الذات وأخرى لتشاهد سريرتها وما تعانيه ، هذا الاتصال الذي يفتح نافذة تطل منها الروح على أخرى بعالمها الداخلي المليء بالاسرار.

وبهذا يمكن أن يوجد التنافذ في شعر الشاعر بمعانٍ كثيرة من ضمنها:

_ التنافذ المادي من استعمال النافذة في الشعر، وهذا يشير إلى الاستعمال الرمزي ، لها

لأنها تشكل فضاء بين عالمين ينفذ من خلالها إلي عالم آخر.

_التنافذ المعنوي الزمني من استعمال الحلم والتذكر في الشعر بوصف الحلم نافذة على عالم آخر.

_ التنافذ النصي ويقصد به تداخل النصوص وتناصها.

أولا_ التنافذ المادي:

يتشكل التنافذ المادي من حضور النافذة ومرادفها الشباك ، فضلا عن الجسد وعناصره من الفم والعيون بوصفها منافذ له ، وبهذا يكون التنافذ المادي بالشيء المادي الجمادي الذي يتشكل بالشباك أو المادي المحسوس الجسدي المتمثل بمنافذ الجسد ، فإن لكل شيء وجهين وفي الشعر خاصة ، ماديا ملموسا وآخر غير ملموس يرتبط بالمشاعر

والأحاسيس والمعنى، فالنافذة مثلا نراها بشكلها المادي المتجسد أمامنا لكنها في توظيفها شعرا ترتبط بغاية أسمى وأعمق تدلل عليها ، فتكوّن بذلك شعرية خاصة بها تحل أزمة نفسية وعاطفية بتوفر جو الاتصال بالآخر سواء أكان هذا الآخر عالما أم فردا.

_ التنافذ النافذة :

يأتي التنافذ هنا بشكله المادي من استخدام النافذة في شعر الشاعر، وتعطي دلالة رمزية أيضاً تعزز دلالة النص وتدعم أركانه. والنافذة هي أقدم وسيلة اتصال تؤدي وظيفة اساسية هي الربط بين فضاءين منفصلين أو بين مشهد وآخر أو بين الذات والآخرين ، وهي تنتشل الذوات من عالم الوحدة والضيق والعزلة ، إلى عالم أكثر رحابة وانفتاحا.

(حيدر،٢٠١٧)(Haider, 2017)

وفي المعنى اللغوي للنافذة "يقال: طعنة نافذة : منتظمة الشقين ، والشباك في الجدار ينفذ منه الضوء والهواء إلى الحجرة (ج) نوافذ."،
(مصطفى:٢/٩٣٩)(Mustafa:2 / 939)

وبهذا نرى اشتراك النافذة والشباك في المعنى من نفاذ الضوء والهواء ، فهي معبر للمرور والاختراق ، فالنافذة هي: "كوة في الجدار فتحة صغيرة ينفذ منها الضوء والهواء تسمح بالنظر منها إلى الخارج."
(حيدر، ٢٠١٧)(Haider, 2017)،

فتستخدم وسيلة تربط الداخل بالخارج ، فهي ليست مجرد شكل هندسي ، إنها حاجة إنسانية للتواصل مع الخارج ، لأن جوهر النافذة "الانتقال بصرياً وذهنياً من حيز مكاني إلى آخر."(حيدر،٢٠١٧.)(Haider, 2017)

فهي فضاء خاص تبث الحياة في الابنية والكون بأسره ، فتسمح بالانتقال البصري من

مكان إلى آخر، فهي ليست خيالية أو مادية خالية من الروح ، إنها تعبر عن روحية الالتقاء بين اثنين.

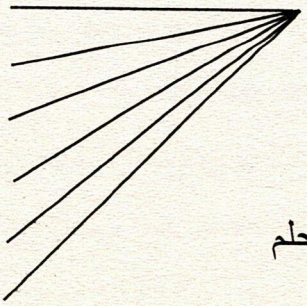
فالنافذة تهتم بالانفتاح على الآخر فلا تقع في التنافذ أية قطيعة مع العالم،

(العقيلي alrai.com)

وهي رمز للتأملات والاطلالة على الخارج العالم الآخر، ومنفذ للعبور وإن لم يكن عبوراً جسدياً فهو عبور فكري ، فتعمل على "انعاش بصري لخيال المتلقي الذي يمكنه أن يتصور ما يجري خلف النافذة" .

(العقيلي alrai.com).

فتكمن رمزية النافذة في كونها منفذ عبور رمز للتأملات



التناقض (فتح وغلق)

وسيلة اتصال وتواصل

العيون في الإنسان الحلم

وتتحول النافذة بعد كل هذا إلى واسطة "تؤدي إلى عوالم خفية وأكوان مخصصة"

(شنهي، ٢٠١٥: ٥١.)(Shanhi, 2015:51)

في عالم الذات والآخرين . يقول الشاعر:

"سبحانَ من جَمَعَ اليَباسَ

على احتراقِ مواسمي

فتَأرجَحَتْ في الليلِ

أنفاسُ النّوافذِ في نَدايْ ..

سبْحانَ مَنْ آسى جراحَ العالمينَ

وأمرَعَ الدّنيا لتوغلَ في رؤايْ ..".

(اسماعيل،٢٠١٩: ٥١٨)(Ismail:518)

يؤكد الشاعر ما قلناه من أن النافذة ليست شكلا هندسيا خاليا من الروح، فيسعى الشاعر إلى أنسنة النوافذ بجعلها تتنفس وتحس بما يحدث ، فيصدق من قال بأن النافذة تبث الحياة في الجماد فهي تجلب الحياة والحركة ، كما تفعل النافذة المادية من توفر الهواء ودخول

أشعة الشمس كانتعاش روحي معززة بذلك الانتعاش الذاتي . وقد خدم الدلالة لفظ (أنفاس النوافذ) ، فالنوافذ معبر للهواء ، لذا من الطبيعي أن تشكل رئة للآخر وإن كانت كذلك فهي النفس عندها تتحول إلى كائن حي له أنفاسه التي تشكل عنصر الحياة . فعلاقة الليل بالنوافذ والبواعث النفسية والتأملية للشاعر من خلال ما يدخل من هذه النوافذ من نسمات هواء تبعث الطمأنينة في روح الشاعر.

يستعمل الشاعر الكلمة الرديفة للنافذة وهي: الشباك ، وسيلة للربط بين مشهد كان ومشهد صار عليه الحال بغياب روحية الشباك والانتقال إلى زمن آخر عبره ليرى تفاؤلا في الصباح للحبيب ، إذ يقول:

"أين غابَتْ ضحكةُ الشُّباكِ

يا تلكَ الضَّفائرْ؟ ....

يومَ كان الصُّبحُ

كلُّ الصَّبحِ

مِسْحالَ خواطِرْ ....

فَزَّ ذاكَ البابُ والبَوّابُ

والأيامُ سألَتْ من حلاقيمِ الحُروبْ ....".

(اسماعيل،٢٠١٩: ٥٣١) (Ismail:531)

يستمر الشاعر في فعل الأنسنة بتحويل الشباك إلى كائن بشري يحس ويضحك ، وما هذا إلا رمز لإنسان ذلك المكان . وفي تساؤله عن غياب ضحكة الشباك إنما يصر على العودة إلى زمن مضى ليستعيده في الوقت الحاضر، كأنه نافذة يطل منها على زمن مرَّ بل يطل منها على عتبة الروح الداخلية التي ما زالت تَحن وترى تلك الشواهد حاضرة داخلها من الذكريات والأشخاص ، فالشباك وسيلة اتصال بين الماضي بذكرياته والحاضر عبر استعادته والمكوث فيه من جديد ، أو هو المحرك الرمزي الخفي لإثارة هذا الجو

الاستذكاري في الروح ، كأن الشباك يبقى الأداة المحركة لذكريات الماضي الجميل ووسيلة اتصال داعمة للحضور في ظل الغياب . كما وتحيل مفردة الشباك إلى الانتظار الذي يعد عاملا مهما في تغذية الروح بالأمل وقد اختار الشاعر هذه المفردة بدلا من النافذة لأنها تحيل إلى دلالات اعمق تأثيرا في النفس ، وعلى الرغم من أن الشباك لا يشكل فضاء واسعا في حجمه إلا أن ايحائية هذه المفردة (الشباك) كونت متنفسا روحيا وعاطفيا مهما عند الشاعر ونجاحه في استرجاع ذكريات الماضي التي عاشها الشاعر.

يقول الشاعر:

"ويا أمطارَ الحُلُمِ المُحتَربهْ ...

أعشَبْتِ شبابيكَ صِبانا

في ذاكَ البستانِ الموصَدِ بالوَجْدِ

زَحَمْتِ بأحناءِ خُطانا حَدقاتِ العَتَبهْ ..

بغُموضِ الغابِ

وغزلانٍ هارِبَةٍ صِرتُ أنوءُ

فصولاً عاشقَةً

بطيوفٍ عالقَةٍ ورجالٍ أسرى ...

ببقيَّةِ عنقودٍ نَقَّرَهُ الطَّيرُ

وأيبس كل عرائشه ...

وبقِيَّةِ أعمارٍ يكسِرُها النَّاطورُ

وتَلْفَحُها الذِّكرى .. ".

(اسماعيل،٢٠١٩ : ٥٧٥_ ٥٧٤)(Ismail:574_575)

ينتقل الشاعر بالشباك إلى زمن آخر زمن الصبا عبر فاعلية الحلم ، فقد أعطى الشاعر للشبابيك صفة الإنبات فصارت كالتربة التي يظهر فيها النبات رمزاً للحياة والأمل ، إذ تقترن في النص بـ(الحلم) و(صبانا) ، فالحلم لا يحده زمن ، ويشكل عالماً للذات ومتنفساً لها برغباتها وآمالها ، أما (الصبا) فهي أيام الصبا التي فيها الأمل فالزمن يشوبها بالتحديد،

فيتعاون الحلم والشباك في الانتقال بالذات إلى عالم آخر تحتاجه في الحاضر ليعيد فاعلية الذاكرة التي تنشط معاودة ذكريات مفعمة بالمحبة وقد طواها الزمن فترك آثاره فيها بالإعشاب نتيجة كونها مؤصدة .

يستكمل الشاعر نافذة شباكه التواصلي بقوله :

"ورَمَتْ ناعورَ الحَسْرَةِ

في حَرِّ سُطوري ...

وتعَلَّقَ شباكُ الصّبحِ

بغَنْوةِ عصفورٍ فيها ....

بحكايات وحكاياتْ ..

أَسْلَمَ رَفَّةً جُنحيهِ لوجْهِ الأفْقِ

وفاتْ ... ".

(Ismail:576)(اسماعيل،٢٠١٩ :٥٧٦)

إذ يقترن الشباك بوقت الصبح ، وإذا ما اقترن بالزمن أضفى نوعاً من تلاحم المكان والزمان

مع الذات ، واستعمل الشاعر الفعل (تعلَّق) اضفاءً للحيوية على الشباك ومنحه نوعاً من الحركة الداخلية العاطفية الشعورية فضلاً عن الحركة المادية الخارجية ، كأنه إنسان يتعلق بإنسان آخر، لكن النص يفاجئنا بتعلقه بـ(غنوة عصفور) ، فالشباك وسيلة للاتصال يتصل بالآخر عبر(الغنوة) الرمز الصوتي ، فتشتغل فاعلية السمع عن طريق الصوت لتُفعل دورها الحيوي في الاتصال ، وهو معبر ومنفذ لعالم آخر، كما يقترن الشباك بالصبح ليضفي الأمل بإشراق يوم جديد مليء بالمفاجآت والحياة القادمة ، وبالغنوة التي تعزز ذلك ايضاً ، فالشباك باثٌ للأمل والاشراق والحياة ، ويصير تنافذاً بين الواقعي والرمزي لأنه وسيلة اتصال يوحي بمن يحب عبر نافذة التأمل والفرح والاشتياق .

يقول الشاعر:

"طيناً تُنَثِّرُ

في الشبابيكِ الكئيبةِ

حَفْنَتينْ ...

لنعيشَ في قَلَقِ الفضاءاتِ

العوابسِ

وهي تُشرعُ للرُّواقاتِ الخوانسِ

محنتينْ ...".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٨٧)(Ismail:587)

تتصف الشبابيك هنا بـ(الكئيبة) لتذهب عنها صفة الاتصال بعوالم مبهجة ، فهي فضاء مغلق على الحزن والعتمة اتخذت دلالة سلبية واكتسبت ذلك من العالم الخارجي الذي يحيط بها من كلّ جانب .

ويعزز الجو التواصلي بأكثر ما فيه حميمية عند ارتباط الشباك بالحبيب ،

فيقول الشاعر في قصيدة (وطن):

"يا رهانَ الحُبِّ

أعشى النَّوءُ شُبّاكَ الحَبيبْ ....

أضْلُعُ الغُربةِ شاخَتْ

وكَبِرْنا

والْتَوى الدَّربُ القريبْ ....".

(اسماعيل،٢٠١٩: ٦٠٠)(Ismail:600)

ارتبط الشباك بالحبيب كما في شباك وفيقة للسيَّاب ، إذ يرسم الشاعر هنا صورة للشباك عبر الحب المتبادل ، وكأن الشباك واسطة ومنفذ لنقل الحب وتواصله ، لذا جاء مضافاً للحبيب ، فغدا أيقونة تواصلية تحكي قصة الحب الخالدة ، فيعمل على انعاش بصري وشحن المشهد بإضاءة تصويرية وروحية عن طريق شباك الحبيب لكن البعد يغشاه ، وكأنه عيون يعيبها العشو نتيجة البعد فيتصف بـ (أعشى النوء) ، فكون الشباك منفذ الرؤية قد اقترن بـ(أعشى) المتصف بسوء النظر بسبب البعد ، لأن الاتصال بالحبيب هو الذي

ينعشه ويرد رمق الحياة إليه . وبذلك يكون التنافذ بين الواقعي والرمزي ويعمل كقوة جاذبة للمعنى وتدفقه .

_ التنافذ الجسد :

لا يكتفي الشاعر بذكر النوافذ الحقيقية المادية التي تدلي برمز معنوي، بل يتبعها بذكر النوافذ الجسدية التي ترمز إلى العينين فالعيون تشكل منفذا آخر للرؤية المزدوجة إلى العالم الخارجي والعالم الداخلي الذاتي .

تشارك النوافذ التنافذ الجسدي عندما تدخل عالما آخر تستعيد فيه فعلها التواصلي بعوالم أخر جسدية إنسانية ، لأن النافذة حاجة روحية أيضا، فترتبط بالجسد عن طريق منافذه التي تتشكل هنا من الفم والعيون ، لتشترك مع النافذة لأنها واسطة للانتقال والعبور إلى عالم آخر.

ترمز النوافذ إلى الفم كما في قول الشاعر:

"أَنْدَتْ شِفاهَ العالقينَ بآيةِ الكُرسيِّ

تقرأُها النّوافذُ مَرَّتينْ".

(إسماعيل،٢٠١٩: ٥٨٥)(Ismail:585)

فالشفاه التي تقرأ آية الكرسي هي منافذ جديدة نحو عالم آخر أكثر مغايرة للطبيعة ، فالشفاه هي منافذ للخير وعالم آخر عندما تقترن بقراءة آية الكرسي ، إذ تحيل إلى عالم السكينة والطمأنينة ، يقول الشاعر:

"وعيناكِ بَرُّ الأمانْ ..

تلُّمانِ أغْرودَتي

وألُمُّكِ من غَرَقي

وأُحيلُ الحَكايا .....

إلى تَمْتَماتِ الأهِلَّةِ خلْفَ الشُّهورِ

وشوقِ الخُطى وحماسِ المرايا ... ".

(اسماعيل،٢٠١٩: ٥٦١.)(Ismail:561)

تأخذ العيون بعدها التأويلي في النص بوصفها منفذا إلى عالم آخر، فهي فضاء للنور ومبعث الأمان والراحة .

"إن العينين هما نافذتا الروح ، لأن الخارج من خلالها يصير في الداخل وكذلك الداخل ينفذ منها إلى الخارج".

(حيدر، ٢٠١٧ :٩٠)(Haider, 2017:90)،

فالعيون تكون واسطة ومنفذا لإثارة الحب واثارة فعل المحبة ، وهي التي تنثر الفرحة في قلبه فيزدهر وتزهر هي في روحه ، يقول الشاعر:

"**بِنِداءِ العيونِ**

ووَمْضٍ بَخيلْ ..

بيننا لغةٌ وحوارٌ جميلْ ..".

(اسماعيل،٢٠١٩ : ٥٦١.) (Ismail:561)

تأخذ العيون بعداً آخر، إذ تشكل تواصلاً ومنفذاً كلامياً للاتصال عبر لغة أخرى تحاكيها، هي حوار من نوع آخر أرقى من أي

حوار، ولا تفهمه سوى العيون ، فيشكل حوار العيون منفذا يخترق الآخر ويعزز فيه ذاته ، ويصير الحب العصب المحرك لفاعلية التنافذ.

ولأن العيون هي منافذ الجسد إذن هي وسيلة اتصال تنفذ في الآخر، فيكون لها وقع خاص ، من ذلك ما تظهره من لغة خاصة يفهمها من يجيدها ، فتشكل وسيلتهم للمخاطبة وتفتح عالما آخر من التواصل والاتصال .

ثانيا _ التنافذ المعنوي :

يأخذ التنافذ بعده المعنوي من وجود الحب والحلم والنوم ، إذ بها تنفذ الذات إلى عالم آخر وإن كان خياليا أحيانا ، فالحب مثلا يعد نافذة نحو عالم آخر ربما يملأه الخيال لكنه يصحب الذات إلى جو جميل خال من مأساة الواقع ، فإن نافذة الحب تكون بالتطلع إلى عالم أو شخص آخر، وبهذا يؤدي التنافذ فعله باختراق

عالم آخر يحمل في طياته إما الناحية السلبية أو الإيجابية للذات .

_التنافذ الحب :

تعددت في عالمنا المنافذ وكوّن الانسان منافذا له للخروج من ضيق الكون وصعوبات الحياة أو من قيود أسرها ، فقد تختصر المنافذ بشخص_ إنسان_ يمنح الروح الأمان ويكون منفذا للأمل للانطلاق نحو عالم حلمها وسعادتها التي لا تضاهيها أية منافذ أخر، هذا الإنسان الذي يشكل عالم الذات ومنفذها بصفته (الأب ، الأخ ، الأم ، الحبيب) تحتبيه الذات وتعلق عليه أمالها إذ انتهت تلاشت الحياة وخفت بريقها .

لو صحت المقولة التي تقول إن الحب اختراق عن طريق نظرة ، فهو يحدث باختراق رؤية العين للآخر أو بالعكس ، فالتنافذ واقع بفعل الحب ، والحب اختراق للآخر وللب القلب

والروح ، فذلك هو الشخص الذي يخترقك بنظرة أو فعل ما ليؤسس محبته في داخلك . فهو كما قال أكتافيو باز "الحب محاولة لاختراق كائن آخر" (اكتافيو باز، eqtibasat.net.)،

ولهذا الاختراق دوافع وميول ، وقد تأتي فكرة الاختراق من الاسطورة الرومانية كيوبيد الطفل ابن الآلهة فينوس الذي اشتهر بحمله للسهم ، فكان سهمه يصيب البشر فيسبب وقوعهم في الحب ، (كيوبيد، ويكيبيديا ،m.alwafd.news)

فكذلك فعل التنافذ في الحب ظهر عاطفيا من نفاذ المشاعر الى قلب الآخر واختراقه .

يقول الشاعر في قصيدة لقاء :

" ذَكِّريني بالزَّمانِ العابرِ ....

طِرتُ مُذْ لاقيتُ عينيكِ

وكانتْ رَفَّةُ الرّوحِ كَرَجْعِ الخاطِرِ

.....

هِيَ ؟

(قلبي طائرٌ فَزَّ)

ولا

بلْ هِيَ .. (واحتَرتُ)

فأينَ الزُّهرةُ اليومَ وأينَ المُشتري ....؟

"(اسماعيل،٢٠١٩:٥٣١_٥٣٢)(Ismail:531_53)

إن هذه العيون تفعل فعلتها بالاتصال ونفاذ الحب ، وعند ذاك يتحول المرء بالحب إلى إنسان آخر يمتلك فعل التجول والاستعاضة عندما يستعيض من الطير فعله ليطير إذا جن به اللقاء فوزا برؤيتها مهما يكن من أمر فالحب يفعل المعجزات ، فيتحول به الإنسان إلى كيان آخر لديه قدرات عجيبة مكنونة ، فكيف لهذا الاختراق الذي فعل فعلته لتجعل منه إنسانا آخر يكتسب ميزة خيالية ، وتخف روحه صعودا عن العالم الدنيوي عندما يتحول القلب إلى طائر يمتلك صفات الرقة والسلام ، فدوافع اختراق الحب للآخر تشي بأفعال نتيجته من

ذلك (طرت ، فزَّ، كانت رقَّة الروح كرجع الخاطر) ، والصورة المشهدية البصرية تدعم جو تنافذ الحب ، فيعطي الشاعر تصوير فرحة الذات ووصف حالها وشعورها الداخلي بما هو مشاهد للعيان بفعل الطيران الذي يرتبط بالطائر، فكلما كانت الذات تشعر بالسعادة ارتبط ذلك بالطيران خفة وفرحا، والربط بين الطيران والفرح نتيجة خفة الروح وانتشائها، فتشعر أنها تطير في الفضاء فلا تحملها الأرض بل ترتقي إلى السماء .

" هلْ تِريني

مِثلَما كنتُ أراكِ ...؟

كلُّ هذا العالمِ الدّامي

حوالينا دَجا الآنَ

ـ وهذي النّاسُ تَنْشالُ لغيري ـ

وأنا أنْشالُ في يومي لذِكراكِ

وأحْيا لسِواكِ ...

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٣٤)(Ismail:534)

إنه يعيش يومه في ذكراها فهي تسكنه وتعيش في داخله فغدت ذكرى وحلما استوطن قلبه ، وكل ذلك معلق برؤية الماضي (مثلما كنت أراك) ، فزاوية الرؤية ما زالت معلقة بالماضي كيف كان يحيا بها ولا تفارقه ، وإن كانت الرؤية كذلك لكن الذات تستعيده كلما سنحت لها الفرصة معلنة فعل التأثر والحب الأبدي الذي يعبق شذاه في ذاته .

"أعيدي لِيَ الحُلمَ في زُحمَةِ الحُلمِ

أمسي البعيدُ وكنتِ الأميرةْ ...

وكان الهوى قَدَراً

عابِقاً بمغالِقِ أسْوارِهِ

وفضاءاتِ أسرارِهِ والأغاني الكثيرةْ .. "

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٥٨)(Ismail:558)

نلحظ مما سبق أن الشاعر سكن في شعره هاجس فعل الذكرى والحلم منفذا للحب ، فنجد الحب متعلقا بهما من استعادته والحنين إليه في زمن الماضي الذي انقضى، وهذه الاستعادة والاسترجاع تمنح الذات سعادة ومنفذا خاصا بالرجوع إلى الماضي الذي يشكل عالما محببا إليها نافذا في روحها حد النخاع ، فتهرب إليه وتستدعيه في الحاضر رغبة في إضفاء سعادة لا تمتلكها في الآن أو تتحسر عليها، وقد كانت بين اليدين في الماضي ، ولأنها تركز عليها فهي تشكل لها اهمية خاصة وقد اخذت حيزا كبيرا في الذات .

ويتمثل الحب هنا بالقدر الذي لا مفر منه وهو مليء بفضاءات الأسرار والأغاني ، فمثلما يكون للهوى أسوار تحده وتصونه يكون له فضاءات أخر من الأسرار والأغاني ، فيشتغل على عالم الظاهر والباطن ، فإن ما يمنحه

الحب هنا هو بهجة وسعادة تعطي الذات ذاكرة التقاطه واستعادته وإن كان في الماضي فيمنحه الحياة والعودة من جديد .

_التنافذ الحلم :

إن للنافذة دلالات إنسانية تبرز في الأحلام ، "فالأحلام نطل منها على اللاوعي"، كما يقول فرويد (حيدر، qafilah.com)، فالحلم بالنسبة لفرويد يشتق من مجموعة من الأفكار في عقله ، فيكتشف بذلك المنطقة الخفية وتأويل حلمه.

(العبيد،٢٠١٨،www.alhrawt.com)،

فالشعر كما يرى باشلار نتاج نفسي لرحلة الخيال عبر أحلام اليقظة . ويرى بارت أن الحلم يمتلك معرفة حضارية تعكس منطقا واعيا لا يستطيع امتلاكه سوى عمل يقظ .

(بارت، ٢٠٠٢: ٩٨.)(Bart,2002:98)

وبهذا جمع بين الحلم في اليقظة أي حلم الذات وتحقيقه ، والحلم في المنام الذي يشكل نافذة أخرى لعالم آخر غير موجود في الحقيقة .

واتخاذ الحلم بديلا تعويضيا عندما تضيق أبعاد الواقع جغرافيا فتتسع نفسيا حلميا ، فبالحلم تنتصر على الواقع.

(واصل، ٢٠١٦: ١٦٠)(Wasel,2016:160)

إذن لمعرفة الحلم يجب تمثل العلاقة القائمة بينه والواقع، فـ"الحلم وسيلة كشوف لا يتوصل اليها الشعور في حالة وعيه".

(برهم، ٢٠١٠ .nourallah.com)

والأحلام ليست مجرد ظلال ، بل هي "رسائل يبعث بها المرء إلى نفسه"

(بوربلي، ١٩٩٢: ٨٢) (Borbly,1992:82)

كما يقول فرويد لأن هذه الرسائل تتشكل في داخله وتمثل ما تتطلع إليه الذات .

والحلم يرتبط بالزمن بوصفه نقطة عبور ونفاذ من زمن إلى آخر يستعيد فيه الإنسان الانتقال من مرحلة إلى أخرى ، ولا شرط أن تكون هذه المرحلة إيجابية ،

ولهذا يعد الحلم نافذة على عالم آخر بسلبياته وإيجابياته ، أو تنافذ عالم بآخر، وأحياناً يعبر الإنسان إلى ضفة أخرى متمثلة بالحلم كي يتخلص من واقع مر سلبه ما يريد وما يطمح إليه ،

فالحلم شيء هلامي علوي يرتفع الإنسان إليه بروحه وفكره ، ليغير واقعاً ويستجلب آخر وإن كان عصيا على التحقيق ،

وهذا التجوال بالحلم يمنح الذات بصيص أمل وشعورا بالراحة ، فهي توازن نفسها ذاتياً بين الواقع التعيس والحلم المرغوب فيه ، وهذا التوازن يعادل كفة المعادلة.

يقول الشاعر في نافذة الحلم :

"بين أضْلاعي حكاياتٌ وكانتْ ....

رَفْرَفَتْ أحلامُها يوماً بعينيكِ

وأرسلتِ بمعناها ..

أراها الآنَ مِلءَ النّاظرِ ....".

(اسماعيل،٢٠١٩ :٥٣٣)(Ismail:533) .

ترتبط الأحلام بالحكايات والماضي ، وكأنها طائر ترفرف لكن مصدرها العيون ، فهي ترى في العيون . ثم يستكمل الشاعر حلمه بقوله:

"هذه الصُّدفةُ ألْقَتْني

على وَمْضَةِ حُلْمٍ نائيهْ ....

وتَناقَلْتُ بأسمائي وأعدائي

وغابوا

وتباعدْنا وأنتِ الباقِيهْ.... "

يأتي الحلم كومضة تدخل من نافذة لكنها ومضة بعيدة ربما عن التحقيق فبقت طي الأمنيات ، وتمارس الصدفة فعلتها في توهج نفاذ الحلم البعيد وعودة أطياف الحب بظهور

الحبيبة ، فإن ما يحمله الآن من عودة إلى الحلم واسترجاعه أملا في التشبث به _في الحقيقة_ بعودتها هي .

ويقول:

"يا وَحْشَةَ الحُلمِ اتْركيني مَرَّةً ،

ففي تَشابكِ الدَّمِ الذي تَرينَ

بِركةُ الرَّمادِ تَغْروني دَماً ...

وتَحتَويني بمَفازاتي

وفي أغوارِها

أصارِعُ العُتْمَةَ والذُّهولْ .. ".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٣٧)(Ismail:537)

كما يرتبط الحلم بالوحشة في: "يا وحشة الحلم اتركيني مرةً" كما يرتبط بالغربة في "لا تهجعي يا غربة الحلمِ" من شدة ما تطلبه الذات ، وهو عصي على التحقيق من اختراق أمنيات بيضاء لا تناسب الواقع المليء بالشدائد وكلِّ ما يحيط بالذات من تقلبات وواقع مرّ .

يقول الشاعر:

"أعيدي ليَ الدِّفْءَ قبلَ المنامْ ...

تعلَّقْتُ في حُلُمٍ دافئٍ

ليَبُثَّ نثارَ دمي،

ويحطَّ الحَمامْ ...

وظلَّ الدُّجى سَمَراً

..... كان مِسْكُ الخِتامْ .. ".

من كثرة ما في الروح من خيبات تعمد إلى التعلق ببصيص أمل ، وكذا هو الحلم تعده الذات نافذة أمل جديدة يغمرها بالدفءِ .

ويستكمل قوله :

"كبُرنا نُراوِحُ بينَهما

حُلُماً مُستَحيلْ .."

بعد كل هذا يتخذ الحلم ضربا من المستحيل الذي لا يتحقق فيطبق بمنافذه على الذات .

"كانتْ أحلاماً مُقْتَضَبَهْ ..

غَبَشاً وبساتينَ وسِربَ عصافيرَ

وَفَرَّتْ .....".

(اسماعيل، ٢٠١٩ : ٥٥٨.)(Ismail:558)

تقترن الأحلام بالماضي عبر الأداة (كانتْ) بحكاية يرويها الشاعر عن الأحلام المقتضبة في صورة يرسمها عما كان في زمان من أحلام تمثلت في عنوان القصيدة بـ(صورة) كصورة بصرية عن الطبيعة تعلق في جو الأحلام .

إن هذه الاحلام تنبت الأمل في الروح وتخضبه باللون الأخضر على سبيل التفاؤل بالتحقيق وبالحرية التي تنشدها الذات برمز السرب من العصافير لكنها تصطدم بالفرار .

يقول:

"عِشْتُ الغابِرَ عَطَباً

والحاضِرَ في بَخْسٍ مَدفوعْ ...

قَلَقاً نَثَّر قافيتي في السَّيلِ

ووَزّعَني أشْطارا ...

عَسْعَسَ في حَرِّ الشَّمْسِ

وفي نُطَفِ الليلِ الجارِحِ أشْعارا .....

أغْرَقَني في طوفانِ الأحلامِ السّودِ

وقارِعَةِ النَّدَمِ الموجوعْ ..".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٨٣.)(Ismail: 583)

تكتسب الأحلام اللون الأسود نتيجة ما يحاصر الذات من أوجاع وغربة روحية تعيشها في وسط زمن قاسٍ ليس فيه منفذ للأمل . إن ما يحدو بالشاعر أن يقرن الأحلام بالجو السلبي نتيجة سد منافذ الخلاص أمام عينيه ، فحتى الأحلام لم تسعفه جوا وفضاء يهرب إليه إذا ما تفاجأ وانصدم بمرارة الواقع ومآسي الوطن ، فتكون نتيجة الحلم كما يقول الشاعر:

"حُلُماً تَدَلّى

في سطورِ الرُّعْبِ مشنوقاً

وأوغَلَ في مساراتِ الحريقْ ..

نَطَرَ الشُّهودَ من العُمومَةِ

وابْتَلاهُ الهَولُ

من نِقَمِ الخُؤولةِ والشَّقيقْ ... ".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٩٠.) (Ismail:590)

تأتي صورة الحلم غريبة الأطوار، إذ يمثله كجسد شنق نتيجة الرعب والخوف ، فكيف يُشنق الحلم ويمارس عليه العنف والموت ، فلم يسلم من طقوس الشر وعنف المشهد فغدا الحلم مشنوقاً كذلك حاله حال إنسان هذا العصر مسلوب الإرادة .

وركز الشاعر على الحلم لأنه صار المنفذ الواسع لفضاءات الذات وتطلعاتها بعد موجة الظلم والعنف التي سادت مشهد العالم في الحاضر، لكنه وإن كان الحلم معنوياً قد طاله أيضاً ما طال العالم من خراب ودمار فاغتيل حيناً وطغت عليه السلبية وخيمت عليه

عوامل الضعف والسواد أحياناً أُخر، وإن ما يحمله الحلم من فضاءات واسعة لا يمكن سدها، فهي تتقل الذات بين محطات كثيرة ، وهو ما حدا بالشاعر إلى عرضه بشكل كثيف في مفاصل شعره .

_ التنافذ النوم

إن النوم تغيير لحالة الوعي، فيعيد تنظيم محتوى الذاكرة بمكوناتها

(نوم ،ويكيبيديا،ar.m.wikipedia)،

وينتقل الانسان عن طريقه إلى حالة أخرى ، فهو واسطة لتكون الحلم والانتقال إلى عالم آخر. فالأحلام هي الخطوة الأخيرة للخروج من النوم

(سارة،٢٠١٧، almrsal.com)،

وبهذا يظهر الترابط بينهما. فالنوم الانتقال من حالة الوعي الى غير الوعي وهذا الانتقال من عالم الى آخر يعد اختراقا لحالة

الصحوة والوعي ، وفاصلا زمنيا بين حالتين أو تنافذا لحالة بأخرى .

يقول الشاعر :

"كنتُ ما كنتُ

فمَنْ أثْقَلَ جُنْحَ النَّومِ

في كأسِ النَّديمْ ..؟

أبِشَوطِ الحُلمِ

أرْخَتْ صَبوةُ الصَّبرِ حكاياها

وألْقَتْني على كلِّ الشُّطوطْ ..؟ ".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٠٨.)(Ismail:508)

يضاف النوم كعامل مساعد في العملية التنافذية لتوفر عنصر الاختراق لشيء ما ، فعن طريق النوم يكون الانتقال من جو إلى آخر ومن زمن إلى آخر، فيرتبط بإشعاع ومضة يشتد ضوؤها اذا ما اقترنت بالحلم ، فيأتي الحلم حينذاك عالما يضيء عتمة درب النوم الذي يحدث به وكل ذلك يكون في الزمن

الماضي بـ(كنت ما كنت) ، كأنها حكاية تقص لزمن فات تحمل في ثناياها أحلام الصبوة عبر اللاوعي بفعل النوم والحلم .

التنافذ الذكرى والتذكر: إن هذا التنافذ ينتج عنه تنافذ لزمن ماض بآخر حاضر في العملية التنافذية وفي هذا اختراق ودخول لزمن بآخر عبر فاعلية التذكر التي تعمل على استرجاع الحوادث من الماضي بكل ما فيها .

يقول الشاعر:

" ذَكَّرَتْني بالذُّنوبْ ..

ذَكِّريني كيفَ تاهَ الحُلمُ

حتّى أنْ كبُرنا ..؟

كيفَ ضِعْنا ؟

كيفَ ضاعَ العُمرُ

في غابِ الخُطوبْ ...؟ "

(اسماعيل، ٢٠١٩ : ٥٣٠)(Ismail:530).

تشترك الذكرى مع ما سبق في جوها التنافذي الذي يقوم على فاعلية فعل التذكر في بعده التنافذي ، إذ تخترق الحاضر بفعل الماضي ، وما هذا الاسترجاع للماضي إلا حنينا جاء حضوره في الحاضر عبر وخزة موقف ما من الحياة استدعى هذا الحضور لزمن مضى .

وما تبنته الذكرى من حدث ما يُفعل دوره في الحاضر، فيدخل ضمن العملية التنافذية من اختراق زمن إلى آخر وتشكيل موقف متشابه هيج تصاعده ، فالحنين لأيام الصبا والزمن الماضي يدفع الشاعر إلى الاستذكار رغبة في استعادة ما كان .

" سَفَحَتْ ذاكرةُ الصّبحِ نُذوري
لأغُضَّ الوَصْفَ عن
العَصْفِ الطَّافِحِ

بالثَّوبِ النَّافِحِ

بالرُّمانِ وإثْمِ التُّفاحْ "

(اسماعيل، ٢٠١٩ : ٥٧٦)(Ismail:576).

يستذكر الشاعر ذكرياته لحب يستمر في ذاكرته وينشر تفاصيله في الآن ، فيخترق فعل الحاضر بزخة استذكار الماضي فيتنافذ به ، هذه العودة تحيي الذات بتفاصيلها وتشعرها بسعادة عابرة ذاقت حلو تفاصيلها في الماضي المباح ، فالمنفذ إلى جو وعالم آخر قد يكون عن طريق شخص ما ينقل الذات من عالمها البائس نافذا بها إلى عالم الحلم أو الماضي الذي فيه أطياف السعادة وحلم الذات الجميل. وإن الذكرى ترتبط بالذات المؤنثة(هي) ، وبفقدان الحلم وضياعه في سنين عبرت وتاهت في تفاصيل الحياة ، فالذكرى واسطة نقل من زمن إلى آخر تدعم الاختراق الزمني .

ثالثا/ التنافذ النصي:

التنافذ بالتناص

عُرف التناص بما سُمي بـ " واقع الحافر على الحافر. أو التنافذ والتأثير والتأثر ، وبأن المكتوب هو مجموعة النصوص السابقة عليه.

"(كاظم، www.azzaman.com)،

فهو تنافذ وتلاقح النص مع غيره من النصوص (سينما ورسم ويوميات وسيرة وغيرها) ، لتكوين بنية النص الكلية

(حسن،٢٠١٨، www.iraqicp.com)،

فالتنافذ "هو الذي يطور الأدب وينقذه من الجمود

"(عزالدين، ع٩٥، ٢٠٠٢: ٢٢٦)Ezzedine,2002:226( )،

فنجد التنافذ في الأدب العربي و"كأن التجارب الشعرية المختلفة نوافذ تطل على بعضها بعضاً وتتأثر ببعضها ".

(لُعيبي،٢٠٠٤: ٧٩)(Luaibi,2004:79)

فكل نص يشكل نافذة نصية تطل على أخرى من النصوص . فالتنافذ يختلف عن التناص بكونه اعم واشمل وأكثر اتساعا من التناص الذي يقوم على تفاعل النصوص فيما بينها .

يقول الشاعر :

"يُريبُني فضاؤكَ المُهانْ...

فَرَّطْتَ بي

وبالدَّمِ النّاعِبِ في كُسوفِهِ

بهُدنَةِ المَلاكِ والشَّيطانْ ...

تهادَنا كِلاهُما

فأيِّ إيلافِ لظى العَسْفِ

يُكذِّبانْ ....

لا بُدَّ من نَزيفْ ..

في رِحلةِ الشّتاءِ والصَّيفِ

وفي دِمائنا

يُجَعِّدُ الخَريفْ ..

يُجَعِّدُ الخَريفَ في خَريفِهِ

بكائنٍ مَنْ كانْ ..

يُنَثِّرُ القُطوفَ ...

أو يُبَعْثِرُ الصُّفوفَ

أو يُشاكِلُ البُركانْ ..".

(إسماعيل، ٢٠١٩ : ٥٢٦_٥٢٥)(Ismail:525_526)

إن الرحلة ارتحال القوم للمسير، ومن هذا المعنى أخذ الشاعر اللفظ القرآني في سورة قريش (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) (سورة قريش، الآية: ٢) ، وهي النعمة التي يذكرهم الله بها من (الرزق) الذي افاضه عليهم بهاتين الرحلتين شتاءً إلى اليمن وصيفاً إلى بلاد الشام ، فالتناص يحدث في الرحلة المتعبة ، إذ يتبناها الشاعر للدلالة على متاعب الفرد بل البلد الواحد ، الوطن الذي يعيش فيه ، ففي هذه الرحلة الشاقة لا بد من تكبد التعب بل التضحية بالنفس أيضا في سبيل هذه الحياة التي لا تركن

إلاّ بتقديم التضحيات تبعث الطمأنينة في نفس الشاعر وتفتح نوافذ الأمل .

يقول الشاعر:

" سَنَدورُ أسْباطاً وتأكُلُنا الذِّئابُ

ونحنُ نَلعَبُ

في سُحاقِ الدّاجياتِ المُقْبلهْ ...

لا المَنُّ لا السَّلوى

ولا الوادي المُقَدَّسُ يُقْصِرُ البَلوى

فتَنْزَعَ في بِلاطِ الرَبِّ نَعْليها

ولا حتى قياماتِ التَّواصُلِ

والوصايا المُنْزَلهْ ..

فوراءَ أصْلابِ الخرائطِ

في التَّليدِ وفي الثَّريدِ

رأيتُهم يتَدافعونَ

ويدفَعونَ بلادَهُم للمِقْصَلةْ...".

(Ismail:589_588)(اسماعيل،٢٠١٩: ٥٨٨-٥٨٩)

إن للتنافذ النصي القرآني ثراءه واتساعه بما يتيح للشاعر من رموز تسعفه في التعبير عما يريد من القضايا ، لأن النصّ القرآني مادة راسخة في الذاكرة بكل ما يتضمنه من قصص، فضلا عما يميزه من اقتصاد لفظي وغنى أسلوبي .

(العايب،٢٠١٦: ٣٠٩. dergipark.org.tr)

يشتغل النص بالعملية التنافذية على أكثر من محور تناصي يخترقه ، فتتشكل في النص اختراقات لنصوص اخرى يتضمنها النص القرآني الذي يعزز وجوده في القصيدة ويضمن تدفقه وعلى احتوائه بعدا تنافذيا يخترق لب النص مكونا موشورا يضيء خفايا النص ويعلنها ، والغاية الاساس توسيع مدارك النص بعرض الفكرة بأكثر من إضاءة وتعزيز الدلالة بما يساندها من علامات نصية .

القصيدة تتناص مع المحن التي تتوارد على الأمة العربية منذ الأزل كمحنة يوسف عليه السلام وأخوته التي سببها الأساس محبة والده له وتفضيله عليهم ، هذه المحبة التي أفضت إلى ظلم إخوته له، كذلك عاش العراق محنته مع اخوته العرب ، فقصة يوسف التي ألمح إليها الشاعر إلماحا أثارت ظلالا للنص وأوجدت علائق عميقة بين ما هو فيه البلد وما جرى ليوسف.

(بهاء الدين، ع١٠، ٢٠١٠ .)(Baha Al-Din,2010)

ينتقل الشاعر إلى تنافذ نصي قرآني آخر باستحضار حوادث القصة وأدواتها في قصة موسى عليه السلام من دوال وهي: (المن والسلوى/ الوادي المقدس/ تنزع نعليها) ، فالمحن تتوالى على البلد كما مرت سابقا .

إن هذه الدوال تستدعي النعم أولا ثم التوجه الديني ثانيا التي تفيدها القصة القرآنية ،

لكن هنا عمدت القصيدة الى قلب الدلالة إلى ضدها من الحرف (لا) الذي حول النص إلى الضد ، فلا المن ولا السلوى ولا الوادي المقدس موجود فهذا إشارة إلى ما يكتنف البلد من هموم وأمور جسام تسلبه قوته ولقاءه الروحي الديني، فيعطي الشاعر إيحاءات بأن عذابه وبلده صورة تناقضية لما هو موجود في القصة القرآنية، وباختلاف عوامل القصة في الظهور .

وقد استدعت التناص الديني طبيعة التجربة للأمة ، فالمهمة التي يؤديها التناص تنبع من خصوصية اللحظة الدينية في سياق التجربة الوجودية الإنسانية ، فالشاعر يتخذ من التجربة بما تحمله من دلالات أساسا يقيم عليه رؤيته للواقع العربي.

(نجم،١٩٩٧: ٤٨)(Najm,1997:48)

يقول الشاعر:

"بِعتيقِ رواياتي وحريقِ حُروفي

أدْفُنُ يا وطني أسْرارا ....

شَرَّقْتُ وغَرَّبْتُ

ورُمْتُ شُروخي فوق مَسارِحِها

إقبالاً في السُّوحِ وإدبارا ...

وتَغَنَّيتُ بها وتَعَنَّيتُ لها

آنَسْتُ بها نارا .....

ناموسُ الغُربَةِ ألْزَمَني

بمَعالِمَ باهِتَةٍ آثَرَ مِزْحَتَها

وتَعَتَّقَ أسْوارا ".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٨٢) (Ismail:582)

يحدث التنافذ النصي بقول الشاعر "آنست بها نارا" إشارة إلى الآية القرآنية الكريمة (إني آنستُ نارا لعلي آتيكم منها بقبس) (سورة طه، الآية:١٠)، في قصة موسى عليه السلام ، فقد ظن موسى أنها نار وكانت من نور الله ، فيستعمل الشاعر الجملة القرآنية كما هي من دون تحوير أو

تغيير ما عدا زيادة الباء والضمير (بها) لكنه يفعلها في معنى المكابدات الداخلية التي يعانيها ويحتفظ بها، فصار هناك نوع من المؤانسة بينه وبينها ، فيتحول الأمر من المكان الذي يأنس فيه الفرد إلى الأشياء المعنوية والذاتية ، وبهذا التحويل للمعنى أضفى الشاعر الجدة في الاستعمال .

يقول الشاعر:

"بحَكايا الخَالَةِ

تَسْكُنُنا الجُزُرُ السِّحريَةُ بالرَّعْدِ

وتَسْرَحُنا بالأسْمارِ لساعاتْ ..

خلْفَ مواقِدِنا الليليَةِ

والرِّحلاتِ السَّبْعِ".

(اسماعيل،٢٠١٩:٥٧٨) (Ismail:578)

يرجعنا الشاعر بتناصه إلى جو الحكايات التي يسردها الأهل ويدخل فيها الأشياء والأماكن الخرافية والأسطورية رغبة في

تقوية أحداثها ومتانة سبكها، ولذلك يلجأ الشاعر إليها فتتناص القصيدة مع هذه الحكايات ، كما يذكر (الرحلات السبع) فيشير بشكل خفي إلى السندباد ورحلاته التي تسكن لب الحكايات عامة .

"ليتَ الفتى حَجَرٌ

وليتَ العُمرَ

سالَ مع الغَرائبِ

قبلَ أنْ تعْدو بهِ هذي المَبازِلُ

وانْتَحرْ ....".

(اسماعيل، ٢٠١٩ :٥٩٠) (Ismail :590)

ثم يكرر قوله :

"ليتَ الفتى حَجرٌ

ليخْنسَ بين أطرافِ المَسالكِ والحُفَرْ ..."

(اسماعيل، ٢٠١٩ : ٥٩٤) (Ismail :594)

فيظهر تناص شعري مع عنوان قصيدة (ليتني حجر) للشاعر محمود درويش التي يقول فيها:

"يا ليتَني حَجَرٌ ..

أكُلَّما شَرَدتْ عينانِ

شَرَّدَني ".

(درويش،٢٠٠٩ : ٢٣) (Darwish,2009:23)

وقبلها مع شعر (تميم بن مقبل) الذي تحول بيته إلى مثل يجري على ألسنة الناس، إذ كان يرثي زمنه الجاهلي فيقول :

"ما أطْيَبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حَجَرٌ

تَنْبو الحوادِثُ عنهُ وهو مَلْمومُ"

(بن مقبل،١٩٩٥: ١٩٨)(BinMoqbel,1995:198).

فصيغة (لو أن الفتى حجر) تحولت إلى (ليت الفتى حجر) من استعمال (لو) بمعنى التمني المشروط فتحولت الى (ليت) التي تفيد التمني مباشرة من دون شرط مع صيغة التمني المحببة إلى الذات التي تنشدها برغبة ثابتة ، فضلا عن

ان(لو) تزيد المتمني بعدا وكأنها تبرز شعور اللهفة اليائس ،

(أبو موسى، ٢٠٠٤: ٢٠٦)(Abu Musa,2004:206)

فلفظتا (لو/ ليت) كلاهما حرف تمنٍّ ولكن لكل تمنٍّ وقعه الخاص ، فـ(لو) تشعر بالاغتراب والبعد النفسي عن الواقع ولا سيّما أنّها تتشاكل مع لو الامتناعية التي تحتاج إلى جواب . والمقطع من قصيدة (تميم بن مقبل) يبدو فيه أنّ (لو) أقوى في التمني من(ليت) ، إذ تلاها (أنّ) المفتوحة الدالة على التوكيد ، فجعل ذلك التمني ذا تركيب أطول نوعًا ما من جملة ليت . أما ليت فليس فيها إلا التمني الذي تنحطّ درجته عن سابقه ، فضلا عن اطّراد البيت في التمني وانسحابه ليكون أقرب إلى الترجي ، لأن كثرة الاستعمال تجعله ممكنا ، فقلما نجد عراقيا أو عربيا إلّا ونادى بهذه الأمنية وبخاصة حين ينطلق الصوت من الفتى

الذي يرمز للشباب إلى عنوان القوّة واليأس في الوقت ذاته ، لذلك من يعان الاغتراب النفسي فقد يتحول معنويا إلى حجر أو قد يتلبس بهذه الحال .

يقول الشاعر عبد الوهاب في قصيدة أخرى:

"هذي الخارطةُ الدمويَّةُ

عَبَثٌ وتراكُمُ أصْفارْ ..

والدَّهرُ كما تَعْرِفُهُ ..

لا يُصْلِحُ ما أفْسَدَهُ العَطَّارْ .."

(إسماعيل، ٢٠١٩ :٥٩٩) (Ismail :599)

في قول الشاعر تناص واضح مع قول الشاعر صفي الدين الحلي :

"وراموا بأنواعِ العَقاقيرِ بُـرْأَهُ

وهل يُصْلِحُ العَطّارُ ما أفْسَدَ الدَّهرُ"

(الحلي : ٣٧٩) (Al-Hilli:379)

في النص قلب وتحوير للنص الأساس ليعطي معنى أن العطار هو المسؤول الحقيقي عن الفساد وأن الدهر لا يمارس فعل الإصلاح ، كأنما أراد القول إن مسؤول البلد الذي يبيع سلعة الإصلاح هو المسؤول عن الفساد ، لأنه لا يدرك عمله ، بل عمله هو الذي قد تسبب في الفساد فلا إصلاح بعد ذاك .

الخاتمة:

_ إن التنافذ من الاختراق والنفاذ ، ولذلك يمكن عده بمعنيين أحدهما ظاهري والآخر باطني كالنص الشعري الذي يواري داخله دلالات عدة .

_ تأتي النافذة أو الشباك في ديوان الشاعر عبد الوهاب اسماعيل بشكل عام دون ورود حالات النافذة من المغلقة أو المفتوحة أو المواربة ، لأن وجودها المهم بنظره فتعطي أملا بفضاء آخر.

_ تشكل النافذة في شعر الشاعر حيزا كبيرا حتى يمكن تسميته بشاعر النوافذ أو شاعر النافذة ، بما يمتلكه من طاقة تعبيرية في توظيف النافذة في شعره وتعدد دوالها الرمزية .

_ يرتبط التنافذ بالناحية البصرية التي تعزز فعله وتساعد في تلون الدلالة .

_ ترتبط النافذة بالجسد عندما يتعلّق بها الفرد كأيقونة حيوية تعكس حبا مضى أو ما زال يحيا حياة جمة بتفاصيلها تنقل عن طريق النافذة أو الشباك . وترتبط أيضا بالتنافذ الجسدي الذي يتكون من الفم والعيون مثلا بوصفهما واسطة للانتقال إلى عالم داخلي مليء بالخفايا .

_ يكون الحلم وساطة أو نافذة بين عالمين أحدهما واقعي والآخر خيالي متصور، وهذا التنافذ الذي يقوم به الحلم يحدث لغاية ما ندركها في شعر الشاعر، فالحلم على هذا هو أيضا اختراق زمن لزمن آخر.

_ إن ما يحمله الحلم من فضاءات واسعة لا يمكن سدها ، إذ تنقل الذات بين محطات كثيرة هو ما حدا بالشاعر إلى عرضه بشكل كثيف في مفاصل شعره .

_ يحدث التنافذ بالتناص من اختراق نص لنص آخر أو نفوذ نص في آخر، وعند ذاك تستكمل العملية التناصية غايتها من الامتصاص والتحوير، فيهب النص عالما جديدا من الذوبان والانصهار في حدود النص الجديد متوخيا غاية أساسية لهذا التنافذ النصي.

_ إن مسوغ أخذنا للتناص ضمن التنافذ يقتضي مسألتين ، الأولى أن النص التنافذي يشكل نافذة يطل منها على أخرى ، والثانية أن معنى التنافذ الاختراق والنفاذ ، وبهذا فالنص التنافذي تخترقه نصوص أخر، فيتضح معنى التنافذ النصي.

_ إن الغاية من التنافذ إحداث التواصل بين اثنين أو عالمين وايصال رسالة ما عبر هذا التنافذ المقام بطرقه المختلفة .

ثبت المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم

الكتب :

_ ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

_ أبو موسى ، محمد(٢٠٠٤) ، دلالات التراكيب دراسة بلاغية ، ط٣ ، مكتبة وهبة ، القاهرة .

_ اسماعيل ، عبدالوهاب (٢٠١٩) ، ديوان عبدالوهاب اسماعيل ، لا بد من لا بد ، دار نون للطباعة والنشر والتوزيع .

_ بارت ، رولان ، ترجمة منذر عياشي ، (٢٠٠٢) ، لذة النص، ط٢، مركز الإنماء الحضاري ، حلب .

_ بن مقبل ، أبو كعب تميم بن أبي ، (١٩٩٥) ديوان ابن مقبل، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي ، بيروت _لبنان .

_ بوربلي ، ألكسندر،(١٩٩٢) أسرار النوم ، ت: أحمد عبد العزيز سلامة ، عالم المعرفة ،١٦٣، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت .

_ الحلي، صفي الدين ، ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت .
_ درويش ، محمود ،(٢٠٠٩) أثر الفراشة ، ط٢، رياض الريس للطباعة والنشر .
_ لُعيبي ، شاكر،(٢٠٠٤) شعرية التنافذ ريلكه وتقاليد الشعر العربي ، دار أزمنة للنشر والتوزيع .
_ مصطفى ، ابراهيم ، ومجموعة مؤلفين ، المعجم الوسيط ، المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر ، تركيا .

البحوث المنشورة :

_ شنهي ، لطيف ، (٢٠١٥) ، شعرية الشرفة في كتابات محمد الخالدي ، مجلة علامات ، ع٤٣ .
_ عزالدين ، د. يوسف (٢٠٠٢) ، التنافذ الأدبي بين العربية والإنجليزية ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ع٩٥، القاهرة .
_ نجم ، مفيد ،(١٩٩٧) التناص ومفهوم التحويل في شعر محمد عمران ، الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، ع٣١٧_٣١٨ ، دمشق .

_ واصل ، د. عصام (٢٠١٦) ، الفضاء الجغرافي في ديوان أبجدية الروح تمظهراته وأبعاده الدلالية ، الخطاب ،ع٢١ .

البحوث والمقالات المنشورة على شبكة الانترنيت:

_ باز، اكتافيو، eqtibasat.net .

_ برهم ، لطفية ابراهيم ،(٦/سبتمر/٢٠١٠) ، الحلم والواقع في الشعر الليبي الحديث المعاصر .nourallah.com .

_ بهاء الدين ، جعفر، وآخرون ، سمية حسن عليان ، التناص القرآني في شعر سميح القاسم ، مجلة أهل البيت ،ع١٠ . abu.edu.iq

_حسن ، عبد علي، (٣٠/ تموز/ ٢٠١٨) الأجساد وظلالها ، التنافذ النصي وعجائبية السرد . www.iraqicp.com

_ حيدر، رباب ، (٢٠١٧) ، النافذة ، رباب حيدر، مجلة القافلة ، ع٣ . Qafilah

_ سارة ، (١٢/ ديسمبر/٢٠١٧) نظريات الفلاسفة حول مسألة النوم . almrsal.com .

_ العايب ، يوسف ،(٢٠١٦) ، آليات استدعاء النص القرآني ودلالات توظيفه في شعر مفدى زكريا ، ٣٠٩. dergipark.org.tr .

_ العبيد ، منيرة ، (١٤/ابريل/٢٠١٨) سيكولوجية الأحلام ، www.alhrawt.com .

_ العقيلي ، جعفر، شعرية التنافذ ، alrai.com .

_ كاظم ، شكيب ، مقروءاً وفق مفهوم التناص والسرد متعدد الأصوات ، www.azzaman.com

_ خاصية إسموزية ، ويكيبيديا ، ar.m.wikipedia.org

_كيوبيد ، ويكيبيديا ، m.alwafd.news.

_ نوم ، ويكيبيديا،ar.m.wikipedia.

Sources and references

_The Holy Quran

Books:

_Ibn Manzur, Abi Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur, Lisan Al-Arab,Sader House, Beirut.

_Abu Musa, Muhammad (2004), the semantics of structures, a rhetorical study, 3rd edition, Wahba Library, Cairo.

_Ismail, Abdel-Wahhab (2019), Diwan Abdel-Wahhab Ismail,"Labud min Labud",Noon House for printing, publishing and distribution.

_Bart, Rolan, translated by Munther Ayachi, (2002), The Pleasure of the Text, 2nd Edition, Civilization Development Center, Aleppo.

_Bin Moqbel, Abu Kaab Tamim bin Abi, (1995) Diwan of Ibn Moqbel, investigated by Dr. Azza Hassan, Arab Orient House, Beirut - Lebanon.

_Borbly, Alexander, (1992) Secrets of Sleep, T: Ahmed Abdel Aziz Salama, The World of Knowledge, 163, The National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait.

_Al-Hilli, Safi al-Din, Diwan of Safi al-Din al-Hilli, Sader House, Beirut.

_Darwish, Mahmoud, (2009) The Butterfly Effect, 2nd Edition, Riyadh Al Rayes for printing and publishing.

_Luaibi, Shaker, (2004) Rilke's Poetry of Osmosis and the Traditions of Arabic Poetry, Azmna House for Publishing and Distribution.

_ Mustafa, Ibrahim, and a group of authors, Mediator Dictionary, Islamic Library for Printing and Publishing, Turkey.

Published research:

_ Shanhi, Latif, (2015), The Poetry of Al-Shorfa in the Writings of Muhammad Al-Khalidi, Signs Magazine, no.43.

_ Ezzedine, Dr. Youssef (2002), Literary Opportunity between Arabic and English, Journal of the Arabic Language Academy, no. 95, Cairo.

_ Najm, Mufid, (1997) Intertextuality and the Concept of Transformation in the Poetry of Muhammad Omran, Literary Position, Union of Arab Writers,no. 317_318, Damascus.

_ Wasel, Dr. Issam (2016), The Geographical Space in the Diwan of the Alphabet of Soul, Its Manifestations and Semantic Dimensions, Discourse, no. 21.

Research and articles published on the Internet:

_ Baz, Octavio, eqtibasat.net.

_ Barham, Lutfia Ibrahim, (6/September/2010), Dream and Reality in Contemporary Libyan Poetry. nourallah.com.

_ Baha Al-Din, Jaafar, and others, Somaya Hassan Alyan, Quranic intertextuality in the poetry of Samih Al-Qasim, Ahl al-Bayt Journal, no. 10. Abu.edu.iq

_Hassan, Abd Ali, (30 / July / 2018) the bodies and their shadows, the textual antagonism and the miraculousness of the narration. Www.iraqicp.com

_ Haider, Rabab, (2017), The Window, Rabab Haider, Caravan Magazine, no3. Qafilah

_ Sarah, (12/December/2017) Philosophers' theories on the issue of sleep. Almrsal.com .

_ Al-Ayeb, Youssef, (2016), The mechanisms of recalling the Qur'anic text and the implications of its employment in the poetry of Mufdi Zakaria, 309. dergipark.org.tr.

_ Al-Obeid, Munira, (14/April/2018) Psychology of Dreams, www.alhrawt.com.

_ Al-Aqili, Jaafar, Poetry of Osmosis, alrai.com.

_ Kazem, Shakib, read according to the concept of intertextuality and polyphonic narration, www.azzaman.com

_Osmosis, Wikipedia, ar.m.wikipedia.org

_Cupid, Wikipedia, m.alwafd.news .

_ Sleep, Wikipedia, en.m.wikipedia .

المفارقة في ديوان (لا بدَّ من لابدَّ)
لعبدالوهاب اسماعيل

م. علي غانم عبد الكريم الحيالي
المديرية العامة لتربية نينوى

ملخص البحث

تمثل المفارقة جدلية الازدواج ، فهي مضحكة بمأساتها مبكية بسخريتها ، وهي نظرية فلسفية ابداعية للحياة وهذا ما جعل منها مفهوماً ارتدى عبر الزمن وجوها مختلفة ، فتناقضها يتيح الهروب من الاسلوب المباشر الى الغموض الشفّاف ، ويحاول البحث دراسة تجليات المفارقة في ديوان (لابد من لابد) للشاعر الموصلي عبدالوهاب اسماعيل بغية الكشف عن مضامين تلك المفارقة وانواعها وكيف استطاع الشاعر توظيف هذه التقنية في بنية قصيدته لفضح المأساة التي يعيشها المبدع في ظل هذه الظروف ، وقد حاول البحث تتبع انواع المفارقة المتوفرة في الديوان من دون ان

يقسر النص على توجه معين بل جعل تحليه للمفارقة يبتدئ من النص منتهيا فيه

Abstract

The paradox represents the dialectic of dualism , as it is ridiculous with its tragedy , crying with its cynicism and it is a creative philophisical view of life , which made it a concept that wore over time different faces.

Its contradiction allows escape from the direct method to transparent ambiguity.

The research attempts to study the manifestations of paradox in the diwan (Must – Must) of the Mosulian poet Abd Al-Wahhab Ismail in order to reveal the

contents of that paradox and its types and how the poet was able to use this technique in the structure of his poem to expose the tragedy experienced by the creator under the circumstances

The research attempted to track the paradox available in the court without restricting the text to specific approach , but rather made its analysis of the paradox begin the text ending in it

توطئة

ورد في لسان العرب ان (التفريق للأبدان والافتراق في الكلام ، يقال فرقت بين الكلامين فافترقا، وفرّقت بين الرجلين فتفرقا ، وفارقت الشيء مفارقة وفراقا باينته ، وتفارق القوم ، فارق بعضهم بعضا والمفارقة اسم مفعول من فارق ، وفارق زوجته باينها ، والفرقان القران هو كل فرق بين الحق والباطل)[1]

من هنا يتضح لنا ان المفارقة في اصلها اللغوي تعني تفرق اللفظ الواحد على معان متعددة .

والمفارقة من المصطلحات التي كثر الحديث عنها وهي مرتبطة بالحياة وممتدة الى العصور القديمة فالحياة كلها مبنية على مجموعة من المفارقات ، ولعل من اول ما

---

[1] - لسان العرب : مادة (فرق) ١٠ / ٢٩٩ .

وصلنا عن المفارقة مفهومها الفلسفي عند اليونان والرومان وبخاصة اراء افلاطون وسقراط وارسطو ويرى دي سي ميويك ان الكلمة وردت لأول مرة في جمهورية افلاطون وان سقراط كان يطلقها على احد الذين يهاجمهم من ضحاياه [٢].

لا نريد الإطالة في تطور مفهوم المفارقة وتبيانه في الفكر الغربي لكننا نقف عند تعريف معجم اكسفورد للمفارقة بانها (أن يعبر المرء عن معناه بلغة توحي بما يناقض المعنى او يخالفه ولا سيما ان يتظاهر المرء بتبني وجهة نظر الاخر ، فقد يستخدم لهجة تدل على المدح ولكن يقصد السخرية والتهكم وامام حدث او ظرف مرغوب فيه ، ولكن غير مناسب البته..... هي استعمال اللغة بطريقة تحمل معنى باطنا موجها لجمهور خاص مميز ،

---

[٢] - المفارقة وصفاتها :٢٣

ومعنى اخر ظاهرا موجها خاصا للمخاطبين او المعنيين بالقول)[٣] وهذا يناقض بين المعنى المباشر والمعنى غير المباشر ، وعدها قسم من النقاد لغة الفكر والعقل كونها تحقق اعلى درجات الشد الذهني والتوتر للمتلقي لحظة تناوله النص ، ليصل من طريقها الى الحقيقة ولذة الادراك والدهشة التي يسعى الى خلقها المبدع في النص ولا يتحقق ذلك الا عن طريق المفارقة [٤]

يرى ماكس بيريوم ان المفارقة هي صيغة (لإنتاج ابلغ الاثر باقل الوسائل اسرافا) ويقصد بذلك التاثير الكبير للمفارقة في الملتقى التي تجعل منه خاضعا لفكرة المرسل بدون اكثار من الكلام بل باستعمال اقل الكلمات التي تدخل في النص بغية الاقناع .

---

[٣] - نقلا عن المفارقة والادب : ١٤٠

[٤] - فن القصة في النظرية والتطبيق : ٧٢ .

لم يعرف العرب مصطلح المفارقة في كتاباتهم لكنه ورد تطبيقا في مصطلحات عديدة كالتهكم والسخرية والتضاد والمدح بما يشبه الذم ويشير د. خالد سليمان انه تتبع مصطلح المفارقة في مصادر الادب العربي القديم فلم يجدها لكن وجد دلالتها وتطبيقاتها [٥]. ويقصد بذلك ان العرب لم يذكروا هذه اللفظة باسمها لكنها وردت لديهم في كلامهم بالتطبيق وليس باللفظ وذلك في الكثير من النصوص ، بل ان القران الكريم ذاته حفل بالعديد من مفارقات التهكم والسخرية .

رأى العديد من الدارسين ان المفارقة في النقد العربي الحديث جاءت متاثرة بالنقد الغربي وبخاصة بعد الترجمات من الاداب

---

[٥] - المفارقة في الادب : ٢٢ .

العالمية فاذا تتبعنا تلك التعريفات وجدنا جلها مستمدة من تعريفات الغربيين ذاتها .

تعرّف نبيلة ابراهيم المفارقة بانها (لعبة لغوية ماهرة بين طرفين : صانع المفارقة وقارئها ، على نحو يقدم فيه صانع المفارقة النص بطريقة تستثير القارئ وتدعوه الى رفض المعنى الحرفي ، وذلك لصالح المعنى الحقيقي ، الذي غالبا ما يكون المعنى الضد وهو في اثناء ذلك يجعل اللغة يرتطم بعضها ببعض ، بحيث لا يهدأ بال القارئ الا بعد ان يصل الى المعنى الذي يرتضيه)[٦] .

ترى سيزا قاسم ان المفارقة (استيراتيجية قول نقدي ساخر ، وهي في الواقع تعبير عن موقف عدواني ، ولكنه تعبير غير مباشر يقوم على التورية ، والمفارقة طريقة لخداع الرقابة ،

٦- المفارقة ١٣٢ .

حيث انها شكل من الاشكال البلاغية التي تشبه الاستعارة في ثنائية الدلالة)[٧]

يرى د. قيس الخفاجي ان المفارقة (بنية تعبيرية وتصويرية ، متنوعة التجليات ومتميزة العدول على المستويات الايقاعية والدلالية والتركيبية ، تستعمل بوصفها اسلوبا تقنيا ووسيلة لمنح المتلقي التلذذ الادبي ولتعميق حسه الشعري ، بواسطة الكشف عن العلاقات التضاد غير المعهودة بين المرجعية المشتركة الحاضرة او الغائبة، والرؤية الخاصة المبدعة)[٨]

سيحاول البحث الوقوف عند جماليات المفارقة في ديوان (لا بد من لابد) للشاعر الموصلي عبدالوهاب اسماعيل المولود عام

---

[٧] - المفارقة في القص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مج ٢ ،ع ٢٤٣ ،١٩٨٢: ١٤٣

[٨] - المفارقة في شعر الرواد :٦٣

١٩٤٥ في الموصل والذي اكمل دراسته وعمل معلما في الموصل منذ عام ١٩٦٥-١٩٧٥ ، ثم نقل عمله الى وزارة الثقافة وأدار مؤسسات ثقافية عديدة قبل ان يحصل على شهادة البكلوريوس في القانون ليتفرغ للعمل الصحفي والمحاماة ، صدرت له عدة دواوين جمعها مؤخرا في مجموعة كاملة بمجلدين ضخمين وقد سمى تلك المجموعة ديوان عبد الوهاب اسماعيل ، وكتبت اكثر من رسالة جامعية عن تجربته الشعرية فضلا عن عدد من الابحاث والمقالات [٩]

وصف الشاعر الكبير معد الجبوري صديقه عبد الوهاب اسماعيل بانه (صوت ينطوي على هدير روح تابى التأطير والتعقيد ، يتفلت من اقفاص التقنية وبرودة التركيب الذهني

---

[٩] - ينظر ديوان عبدالوهاب اسماعيل ١ /٦٠٣

بتلقائيـة عذبـة وعفويـة ، فهـو ينشـد البصـمة الخاصـة فـي اطـار التجديـد الـذي يتشـرب الاصـالة)[١٠] والمتتبـع لشـعره يجـده فعـلا يبتعـد عـن التقنيـات الجـاهزة ويميـل الـى الشـعرية المنسابة بعذوبة دون ان يلغي افادته من ثقافته التي أهَّلته للافادة من تقانات الحداثة .

ان تجربة الشاعر عبد الوهاب اسماعيل تجربة عميقة وتحمل في داخلها توظيفا متعددا للتقانـات الحديثـة للـنص الشـعري ولـذلك فقـد حظيت بالعديد من الدراسات الجادة وسيحاول بحثنا الوقوف عند توظيف المفارقة في شعره مطبقين عملنا على واحد من دواوينه وهو ديوان (لا بد من لا بد) ... ولغايات اجرائية دراسية ارتأينا ان يتضمن البحث :-

---

[١٠] ـ نفسه : ١/ ٦٠٩ .

١ – مفارقة العنوان :

ورد في معاجم اللغة (عنّ الشيء يَعِنّ ويَعُنّ عَنَناً وعَنُوناً ظهر امامك وعنّ الكتاب يعُنّه عنّاً وعنّنه كعنونه ، وعنونته وعلونته بمعنى واحد ... ويقال للرجل الذي يعرّض ولا يصرح قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجة ، .) [١١]

فالعنوان في اللغة يدل على الظهور والايضاح والبيان وكشف الغموض ، وهذا ما تكشفه لنا مادة اخرى في المعجم (عنيت بالقول كذا: وقال ابن سيدة : العنوان ، العلوان : سمة الكتاب ، وعنونه عنونة وعنوانا وعناه كلامهما : سمة العنوان)[١٢] وهذا الامر يشير الى قصيدة الكُتّاب في اختيار عنواناتهم وابتعادهم عن الاعتباطية واللا مقصدية .

---

[١١] - لسان العرب : مادة (عنا)
[١٢] - نفسه : مادة (عنن)

ولا يسعى البحث للخوض في تفصيلات تاريخ العنوان وظهوره وبدء الاهتمام به في الدراسات النقدية لكننا لابد ان نشير الى ان العنوان في النص الادبي الحديث اضحى (نقطة التقاطع الاستيراتيجية التي يعبر منها النص الى العالم والعالم الى النص ، فتنتفي الحدود الفاصلة بينهما ويحتاج كل منهما الى الاخر... وبهذا نصل الى ان العنوان صاحب السلطة بوصفه رسالة لغوية تعلو النص لتسمه وتحدده فتصبح نصا اخر يغري القارئ ويحمله على مغامرة القراءة والتأويل)[١٣] ولعل من ابرز وظائف العنوان فضلا على التعيين والوصف والايحاء الوظيفية الاغرائية التي تجعل من العنوان الجيد سمسارا لكتاب ، وتلك الوظيفة التي تتمركز حول اثارة او فتح شهية القارئ كما

---

[١٣] - عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر : ١٢.

يقول بارت من خلال استمالته الى قراءة النص وتحفيز غريزة القراءة لديه[١٤]، فالنص الجيد يغري القارئ بتتبعه والبحث عن جماليته لما يثيره في ذهنه من احتمالات تأويلية متعددة .

ان عنوان الديوان موضوع دراستنا عنوانٌ اشكالي قائم على مناورة واضحة منذ انشطار العنوان الى دالين متكررين غيّر من دلالتهما توسط حرف الجر بينهما فلفظة (لا بدّ) المكونة من لا النافية للجنس واسمها وخبرها المحذوف ثم تكرارها بعد حرف الجر تحيل الى تأويلات متعددة تفتح النص على فضاءات عديدة ، ولعل بنية المفارقة كائنة عبر ورود (لابدّ) في فاتحة العنوان التي تحيل الذهن الى حتمية حدوث الشيء المحتوم الذي لابدّ منه هو (لابدّ) ذاتها . وهنا تنبجس بنية

---

١٤ - ينظر عتبات جيرار جنيت / ٨٧- ٨٨

المفارقة ، فالمفارقة كما هو معروف لعبة ماهرة ذكية قائمة على تأويل متعدد وتحتاج الى متلق فطن يستطيع سبر اغوارها ووظيفتها الاساس هي اثارة دهشة المتلقي وهي من ارقى انواع النشاط العقلي .

ان عنوان الشاعر عبدالوهاب اسماعيل يحيل الى حالة ذهنية قائمة على توقع حدوث شيء بحتمية لكنه لا يعرف ما هو هذا الشيء او يتعمد اخفاءه فالمفارقة على حد قول نبيلة ابراهيم قد تكون (سلاحا للهجوم الساخر ، وقد تكون اشبه بستار رقيق يشف عن ما وراءه من هزيمة الانسان وربما ادارت المفارقة ظهرها لعالمنا الواقعي وقلبته رأسا على عقب)[١٥] .

لقد نجح اسماعيل في حرف مسار اللعبة اللغوية باتقان والمراوغة في التصريح بما

---

[١٥] - المفارقة الروائية الزمن التاريخي ، فصول مج ١ ،ع ٤ ، ١٩٩٣ : ١٤٣

يود قوله ، فالشيء الذي لابد منه اضحى محيرا لا يعرف كُنهه ولقد ادى الدال مدلولات مغايرة لمعناه المعجمي منزاحا الى دلالات سياقية اخرى جعلت الرسالة المنطلقة من العنوان الى المتلقي رسالة غامضة تحتمل تعدد التأويل وتعدد المعنى وبذلك تكون بنية المفارقة في العنوان قد ادت دورها المطلوب بإتقان .

٢ – المفارقة التناصية :-

ارتبط مفهوم التناص بالدراسات النقدية المعاصرة باسم الناقدة (جوليا كرستيفا) التي اخذته عن استاذها(باختين) الذي لم يسم التناص وان تحدث عنه ، ولقد رأت كريستيفيا ان النص قطعة فسيفساء تلغي الحدود بين النصوص او هو عبارة عن ملكية عامة يستطيع اي شخص ان يستقطع فيه ما يشاء

فلا يعود للأبوة النصية[١٦]، لكن هذا لا يعني ان المبدع وهو يتناص مع نصوص سابقة يسعى لاحيائها او النهوض بها بل يعني انه يريد ان يعبر عن واقعه عبر بثه على وفق واقع قديم لان النصوص تتعرض لنقل دائم من سياقاتها الاصلية الى سياقات جديدة مبتكرة اذ ليس ثمة حدود بين النص مما يجعل من النصوص بنية مفتوحة ومتحركة ومتجددة في ان واحد[١٧]، وتتولد المفارقة من خلال العلاقة بين الدلالة الاساسية للنص المتناص معه والمدلول الجديد الذي اكتسبه في سياق جديد وبذلك يصبح المبدع صانعا للمفارقة يعمد الى ما هو سائد فيعرّيه ويكسوه ثوبا جديدا

يقول الشاعر عبدالوهاب اسماعيل:-

---

[١٦] - ينظر شعرية السرد في شعر احمد مطر:١٦٧.

[١٧] - النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي : ٣.

فَلِمَنْ نحنُ لِمَنْ ؟....

هذه الخضراءُ والماءُ

دُوارُ العِشقِ والعشَّاقِ

والنَّدمانُ والوجْهُ الحَسَنْ ...

.....

أضْلُعُ الغُربةِ شاخَتْ

يا عراقَ المُبْتَلى والمُمْتَحَنْ ...

أنتَ مَنْ وَرَّطَنا بالحبِّ ...

أسْمانا لهُ جُنْداً

وأسْمَينا حناياكَ وَطنْ .. [١٨]

ان الشاعر هنا يتناص مع قول ينسب للشاعر شمس الدين بن العفيف التلمساني وهو يقول : –

ثلاثةٌ يُذهِبْنَ عن قلبي الحَزَنْ

الماءُ والخضراءُ والوجْهُ الحَسَنْ

---

[١٨] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ٥٩٩ ـ ٦٠٠ .

لقد جاءت بنية المفارقة عبر خيبة امل المتلقي الناجمة عن خيبة امل الشاعر فاذا كان النص القديم يرى ان الهموم والغموم تتجلى عند رؤية هذا الثالوث (الماء ، والخضراء ، والوجه الحسن) فان التوظيف المعاصر لدى اسماعيل يجعل من هذه الثلاثة لا مجدية ولا قيمة لها متسائلا لمن هذا الجمال ، بل لمن نحن كلنا وقد اشاختنا الغربة واصبحنا نبحث عن بقايا وطن كانت ورطتنا الكبرى انا تربينا على حبه . انها مفارقة مريرة حيث يصبح هذا الجمال كله لامجديا وغير ذي قيمة .

ويقول ايضا :-

ليتَ الفتى حَجَرٌ

وليتَ العُمرَ سالَ مع الغَرائبِ

قبلَ أنْ تَعدو بهِ هذي المَبازِلُ

وانْتَحَرْ .. [١٩]

ان النص يتناص مع قول تميم بن مقبل :

ما أطْيَبَ العيشَ لو أنَّ الفتى حَجَرٌ

تَنْبو الحوادثُ عنهُ وهو مَلْمومُ [٢٠]

ومن الجدير بالذكر ان العديد من الشعراء المعاصرين تناص مع تميم بن مقبل ومنهم محمود درويش في قصيدته (موسيقى عربية) و د. بشرى البستاني في قصيدتها موسيقى عراقية[٢١]، واذا كان تميم بن مقبل لا يريد ان تغير الحوادث ما حوله من اماكن بل يريد ان يظل شامخا لا يتغير كالحجارة الصلدة الصماء ، خالدا على مرور الاجيال بلا مبالاة فان

---

[١٩] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ٥٩ .

[٢٠] - ديوان ابن مقبل : ٢٧٣ .

[٢١] - للتفصيل في ذلك ينظر قصيدة موسيقى عراقية مقاربة ايقاعية : أ . د . محمد جواد حبيب البدراني مجلة تكريت للعلوم الانسانية م/ ١٧ ، ع ٣ ،اذار ٢٠١٠ مص٢٧ وما بعدها ، وينظر بين سلطة الايقاع وبوح الدلالة : ١١٩ وما بعدها

عبـدالوهاب اسـماعيل يقلـب الامـر ليـرى ان الحوادث ليست الا من صنع البشر واخطائهم ولذلك يتمنى ان يكون عمره قد مضى وانتهى ولم يبق منه شيء قبل ان يرى ما حل بوطنه وقبل ان يرى ما جرى حوله من ماس ومحن لا مفر منها ولا مهرب .

لقد ادى التناص دوره في لعبة المفارقة فقد انبجست المفارقة من رحم التناص لتخلق تعالقا نصيا جديدا قائما على مفارقة مؤلمة جعلت المتلقي يشعر بمرارة . وهكذا يمكن القول ان تجلي المفارقة التناصية في نصوص عبدالوهاب اكسبها بعدا تأويليا متعددا اغنى النص وزاده جمالا وشعرية .

٣ – المفارقة اللفظية :–

يقصد بالمفارقة اللفظية (نمط كلامي او طريقة من طرائق التعبير يكون المعنى المقصود فيها مخالفا للمعنى الظاهر وينشأ هذا

النمط من كون الدال يؤدي مدلولين نقيضين الاول مدلول حرفي ظاهر والثاني مدلول سياقي خفيٌ)[٢٢]، من هنا ندرك ان المفارقة اللفظية لعبة لغوية متقنة تعتمد على (تغير مجال الاستعمال اللفظي الى الضد تهكما بمعنى انتقال اللفظ من حقله الدلالي المعروف له في اصل الاستخدام الى حقل دلالي اخر ، بحيث يقيم مع لفظ اخر داخل الاستعمال اللغوي الخاص علاقة دلالية جديدة من نوع التضاد او التخالف لغاية انتقادية ..)[٢٣]

يقول الشاعر :

يَلُمُّنا السّؤالُ ثُمَّ يمضي

قبلَ أنْ ينتظِرَ الجوابْ ..

تَناثَرَ الفاعِلُ والمفعولُ

في مجاهِلِ الفتحَةِ والضَّمَةِ

---

[٢٢] - المفارقة في رواية نجيب محفوظ : ١٨٤ .

[٢٣] - المفارقة القرانية : ٧٣ .

وأسْتَعْصى دَمُ الغُرْبِ

على الإعرابْ .. [٢٤]

يـرى (ميويـك) ان المفارقـة اللفظيـة تقـوم على تناقض بين المعاني الحرفية للكلمات وما يصدر عن منتجها ، فتكون المفارقة اللفظية فاعلة حين يستطيع المتلقي (النفاذ من الحدث اللغوي او اللفظي الى حدث المغزى ، او من القول الى مقصد القائل) [٢٥] . ولو نظرنا مليا الى النص لوجدنا ان المتلقي يبدو له عند قراءته الاولى للنص ان الفاعل والمفعول هما البابان النحويان المعروفان في دراسة النحو العربي ، لكن الشاعر يراوغ فكر المتلقي فهو يقصد الفاعل المحرك للأحداث والمتلقي السلبي في عصرنا الذي اضحى فيه الفاعل المحرك للأحداث عاجز عن اداء مهمته لذلك وظف

---

[٢٤] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ١ / ٥٢١ .

[٢٥] - المفارقة وصفاتها :٦٤

الشاعر مصطلحات (الفاعل ، المفعول ، الضمة ، الفتحة) في غير معانيها الاصطلاحية ليصل الى ذروة المفارقة بقوله (واستعصى دم العرب على الاعراب) فالشاعر هنا يقصد بالأعراب التعبير عن المعنى اللغوي ذلك ان الاعراب في اللغة بمعنى الابانة والايضاح ، يقال اعرب عن لسانه وعرب أي ابان وافصح ، واعرب عن الرجل بيّن ما يريد قوله ، وانما سمي الإعراب إعرابا لتبيينه وايضاحه ، .... ويقال اعرب عن ما في ضميرك أي ابنْ)[٢٦]، فالشاعر هنا يوظف المفارقة اللفظية الموهمة باختيار مفردات النحو العربي ليشير الى عجز العرب المعاصرين عن الاعراب عن ماسيهم ، حين اصبح دمهم مضاعا لا قيمة له وهنا تجلت قيمة المفارقة

---

[٢٦] - لسان العرب مادة : عرب

اللفظية التي تقول شيئا وتقصد شيئا اخر وهذه هي لعبة المفارقة .

٤ – المفارقة الدرامية :–

ترتبط المفارقة الدرامية بالمسرح اذ ارتبط نشوئها بالمسرح اليوناني ثم انتقلت منه الى الفنون الاخرى – ومنها الشعر – بفعل تداخل الفنون الذي شهده عصرنا ، وتعتمد المفارقة الدرامية في تكوينها على علاقة المغايرة بين ما تفهمه الشخصية الواقع عليها فعل المفارقة (وتبدو المفارقة الدرامية بالغة الاثر حينما لا يكون الجمهور / المتلقي فحسب ، بل المراقب / الشاعر كذلك على علم واضح بغياب الحقيقة عن الضحية ، فالمراقب يتظاهر بالجهل في اخفاء متعمد من اجل تعرية

الضحية وفضح ما تقوم به من تناقض بين الحقيقة وخلافها)[٢٧].

وكما اشرنا ان المفارقة الدرامية يمكن ان تحدث في أي شكل ادبي او فني شرط ان تحقق الفعل الدرامي ، وهناك مستويان لحدوث المفارقة الدرامية الاول تكون جميع الشخصيات منخرطة في الموقف المفارق او المشاهد وهو الوحيد الذي يدرك المفارقة ، والمستوى الثاني وهو الاكثر تأثيرا عندما تقع المفارقة الدرامية ويشاطر ادراكها المشاهد مع احدى الشخصيات[٢٨].

وقد اطلق على المفارقة الدرامية اسم مفارقة

---

[٢٧] - ينظر المفارقة : ٩٣ وكذلك المفارقة في شعر ابي نؤاس : كرار عبد الاله الابراهيمي ، رسالة ماجستير ، جامعة المثنى ، ٢٠١٧م ص: ٧٩

[٢٨] - ينظر المفارقة الدرامية في النص المسرحي الاردني : عدنان علي المشاقبة ، المجلة الاردنية للفنون ، م٩ ، ع٢ ، ٢٠١٦ : ١٤٠-١٤١ .

(سـوفوكليس) ويـرى (كونـوب ثـرول) ان المفارقـة الدراميـة تتجسـد عنـدما نـرى شخصـية تتصرف بطريقة تتصف بالجهل بحقيقة ما يدور حولها من امور[٢٩].

ضـم ديـوان (لابـد مـن لابـد) عـددا مـن المفارقات الدرامية الواضحة منها قوله :-

أرأيْتُمْ وطَناً يَشْخَبُ حتى قَدَميهِ

ويَكْظُمُ دونَ كلامْ ...

أرأيتُمْ جُرحاً أسوَدْ ..

أسْوَدَ من لونِ البترولِ

وأسوَدَ من حِقْدِ البترولِ

وأسْوَدَ من وجْهِ العارِ الأسْوَدْ ..

أرأيتُمْ كيفَ تَجِفُّ الصَفَحاتُ

وتُرفَعُ عنها الأقلامْ ..

---

[٢٩] - ينظر المفارقة بنية الاختلاف الكبرى ، د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ع ٤٦، ٢٠٠٦ : ٩٨ .

فمتى تنطِقُ مِدخَنَةُ العَصرِ المكسورِ

وأرصِفَةُ الحُبِّ المَغْدورِ

وأفئدةُ العُشّاقِ الأيتامْ ...[٣٠]

تتبني مفارقة النص على الحديث عن الوطن الممتلئ بالخيرات ولعل في مقدمة تلك الخيرات النفط (الذهب الاسود) الذي اضحى نقمة لا نعمة ، فالذهب الاسود وهو النفط الذي يعد المصدر الاول لاقتصاد العراق اضحى حظ العراقيين الاسود ، فلم يجلب لهم سوى الامراض الناجمة عن احتراقه في الفضاء ، والحقد الاسود الذي اثار اطماع افاقي الارض وحقدهم واضحى عارا اسود يلاحق العرب اذ لم يجن اصحاب هذه الثروة وعشاق الوطن سوى اليتم والدمار وهنا تصل المفارقة ذروتها ، وقد عزز الشاعر هذه المفارقة بمفارقة لونية ناجمة

---

٣٠ - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ٥٣٦/١ .

عن تكرار لفظة الاسود التي وردت في المقطع الشعري خمس مرات فضلا عن كلمات اخرى توحي بالسواد (دخان ، ارصفة) وقد افاد الشاعر هنا ايضا من التناص في قوله (تجف الصفحات وترفع عنها الاقلام) فهذا النص مأخوذ من قول الرسول **محمد** ﷺ الذي رواه ابن عباس رضي الله عنه : قال كنت خلف رسول الله **محمد** ﷺ يوما فقال : (يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سالت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لن ينفعوك بشيء الا قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك بشيء لن يضروك بشيء الا قد كتبه الله لك رفعت الاقلام وجفت الصحف)[٣١]

---

[٣١] - صحيح البخاري : ٤٦٨٦ .

فلقد اضفى التناص قوة على بنية المفارقة الدرامية اذ انه عزز الايحاء بان ابناء الوطن العربي قد استسلموا لواقعهم المرير وكأنه قدر مقدر عليهم لا مفر منه ولا مناص .

ان بنية المفارقة الدرامية في النص الشعري السابق بنت شعريتها على ما يعرف بالنقد بالكوميديا السوداء ذلك ان جمهور الناس في الوطن العربي لا يدرك انه ضحية وان ثروتهم صارت وبالا عليهم ، ولقد ادت المفارقة هنا دورها في كسر المسلّمات والثوابت فالمفارقة في الشعر تعتمد على تشكيل خاص يفجّر في اللغة الشعرية طاقاتها الكامنة من اجل التوصل الى تشكيل يواجه الضرورة في الواقع ويكشف عن زيف كثير من مسلمات هذا الواقع ، والمفارقة هنا تهدف الى هدم الثوابت والاشتغال على اللّا متوقع والجمع بيت المتضادات مما

يعمل على توليد المفارقة [٣٢] ، التي تستفز المتلقي والتي تعمل على تغيير قناعاته .

٥ – مفارقة تبادل الادوار :-

تقوم مفارقة تبادل الادوار على قيام شخص بدور مناقض ومغاير لما هو مألوف له في الطبيعة ، ففي لحظة يشعر المتلقي بتبادل الادوار بين شخوص المفارقة وفي لحظة يصبح البطل ضحية والضحية بطلا ، فتتقلب الصورة في ذهن المتلقي [٣٣]، وتتفعل المفارقة من خلال زحزحة الاشياء عن ما هو متعارف عليه وبذلك يتم خلق المفارقة القائمة على عنصر التناص .

يقول عبدالوهاب اسماعيل :

لماذا يَسودُ السُّكونُ

---

[٣٢] - ينظر المفارقة المصطلح والمفاهيم : د. شريف عبيدي ، مجلة جيل للعلوم الانسانية والاجتماعية ، ع ٥٣ :٩٩ وما بعدها

[٣٣] - ينظر التحليق في فضاءات النص : ١٦ وما بعدها

إذا حَرَّكَ الخوفُ أقدامَهُ

وتنامُ شُقوقُ الزُّقاقْ .... [٣٤]

يلجا الشاعر هنا الى خلق مفارقة قائمة على اثارة الدهشة المتولدة من قلب الادوار ومباينة المألوف في الدوال المؤسسة للكون الشعري فالخوف هو الذي يحرك اقدامه هاربا في حين ان المألوف ان يكون الخوف مصدرا لهروب الاخرين وهنا تتجلى المفارقة فالخوف لم يعد مخيفا بل صار خائفا ، كما تتجلى لعبة المفارقة بالجمع بين السكون والحركة اذ يسود السكون عند تحرك الخوف والجمع بينهما بحد ذاته مفارقة اضافت بعدا دلاليا اخر لمفارقة خوف الخوف التي اتقن الشاعر جلاءها عبر تبادل الادوار ولم تكن بنية القصيدة مؤثرة في المتلقي لولا تبادل الادوار هذا، ويقول :-

---

[٣٤] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ١ / ٥٦٩ .

سَنَدورُ أسباطاً وتأكُلُنا الذِّئابُ

ونحنُ نلعَبُ

في سحاقِ الدَّاجياتِ المُقْبلةْ ...

لا الَمَنُّ لا السَّلوى

ولا الوادي المُقَدَّسُ يُقْصِرُ البَلوى

ولا حتى قياماتُ التَّواصُلِ

والوصايا المُنْزَلةْ .. [٣٥]

قلنا ان الشاعر عبدالوهاب اسماعيل شاعر مهووس بالتراث مسكون بثقافة دينية اسلامية عربية ، لذلك يجعل شعره حافلا بمعاني التناص التراثية وهو هنا يقلب الادوار فاذا كان النص القرآني في سورة يوسف يشير الى الاكذوبة التي أصطنعها اخوة يوسف عليه السلام بادعائهم ان الذئب قد اكله فان الشاعر يجعل الذئب يأكلهم على الحقيقة ، ويقلب دور

---

[٣٥] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ١ / ٥٨٨ ـ ٥٨٩

الذئب الذي كان بريئا في القصص القرآني لكنه هنا يأكل على الحقيقة والمقصود هنا الذئاب البشرية من المستعمرين الذين يأكلون البلد وخيراته ، واذا كان المن والسلوى نعمة انزلها الله على قوم عيسى عليه السلام اكراما لدعاء النبي فانه هنا انقلب الى بلوى بل حتى الوادي المقدس لم يعد كما كان بعد ان تغيرت معالم الناس وانقلبت الادوار اذ تغير كل شيء في هذا المجتمع الذي تنكر لمقدساته .

لقد كانت بنية المفارقة قائمة على كسر افق التوقع وقلب الدلالات وتغيير وجهتها فلم تعد الامور كما كانت بل اضحى كل شيء مغايرا لأصله متغيرا عما كان عليه .

٦- المفارقة اللونية :-

يعد اللون جزءا اساسيا في بنية الصورة الشعرية اذ لا تتجلى جماليات الصورة الشعرية الا عبر تشكيلها اللوني ، ولم يكتف الشعر

بالاعتماد على واقعية اللون بل انتقل الى رمزيته واللون الذي يمثل لغة بصَرية في فن الرسم لكنه يتحول الى (دال حين يوضع ضمن سياق لغوي وبهذا يمتلك دلالة في اطار بناء الجملة الشعرية) [٣٦] مما قاد الى تكون ما يعرف بشعرية اللون ، ذلك ان (الالوان في القصيدة قد تحمل اشارات سميولوجية مما يحولها للرمزية لان الالوان تعطينا احساسات غامضة وعلى ذلك فلا يمكننا استخدامها منطقيا بل نضطر الى توظيفها رمزيا)[٣٧]، فلكل لون دلالته ، بل تختلف دلالات الالوان احيانا بحسب اختلاف ثقافات الشعوب واعتقاداتها .

يقول عبدالوهاب اسماعيل:-

---

[٣٦] - جماليات اللون في شعر زهير ، موسى ربابعة، مجلة جرش للبحوث الاسلامية ، مج ٢ ، ع ٢ ، لسنة ١٩٩٨ : ١١ .

[٣٧] -جماليات اللون في القصيدة العربية : محمد حافظ دياب ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ٢ ، ١٩٨٥ : ٤١ .

لشَواطِئَ تَحْفِلُ بالأحمَرِ والأخضرِ
والطّالعِ بينهُما
بمراهَقَةِ الصُّبحِ المُنْداحْ ..
بالعشقِ الخافِقِ
والموجِ العابقِ
خلْفَ وِشايةِ إيقاعِ القُدَّاحْ ...
حقْلَ بساتينَ
لموسيقى العشّاقِ الوَرديَّةْ ..
حَبْلَ غسيلٍ يخْتَزِلُ الشمسَ
بَهَمْسِ صَبيٍّ لصَبيَّةْ ..
ووَكاحاتِ الحُمْرةِ
في خَجَلِ العِطرِ
وهَبَّةِ ريحٍ تَعبَقُ أو تُشْرِقُ
لو جارَ الحَرُّ على خَدِّ التُّفاحْ ... [٣٨]

---

[٣٨] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل : ١ / ٥٧٨ ـ ٥٧٩

ينطلق الشاعر هنا من مفارقة لونية تفاجئ المتلقي وتثير دهشته عبر التلاعب بالألوان فالشاطئ عادة لا يحمل الا لون الرمال الباهتة لكن الشاعر يجعل الشاطئ حافلا بالألوان الدالة على الفرح ، وقد اختار ذكر اللون الاحمر والاخضر بأسمائهما الصريحة ، والاحمر لون ساخن وقد عده العرب لون الحياة ورمزا للصحة والعافية والخضاب اما الاخضر فهو لون الخصب والخضرة والنماء والحقول ، كما ارتبط بالجنة والنعيم ومن ذلك قوله تعالى في وصف لباس اهل الجنة .

((عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا)) الإنسان: ٢١،

ثم ذكر الوانا اخرى غير الالوان السابقة ولكن بصورة غير مباشرة (لون الشمس ، وكاحات الحمرة ، خجل العطر ، خد التفاح) .

ان المفارقة اللونية قائمة في النص عبر توظيف هذه الالوان لإثارة دهشة المتلقي ، فالشاعر لم يتحدث مباشرة عن صبايا جميلات يرتدين ملابس البحر ويسبحن على الشاطئ لكنه ذكر تلك الالوان ليشير لذلك والمفارقة ان المتلقي يوهم باستخدام الصورة اعلاه (صورة الصبايا اللواتي يسبحن على الشاطئ) غير انه بالتأكيد لا يقصد ذلك فسياق القصيدة يوحي بالجانب السير ذاتي فهو اذا يتحدث عن بعض اللقاءات العاطفية على شواطئ دجلة في الموصل يستعيد ذكرياته الشخصية ايام الشباب والحب واللقاءات على شواطىء دجلة فكانت بنية المفارقة تتجسد في التعمية على المقصود من جهة والمفارقة اللونية التي جمعت الوانا متعددة في سياق واحد ، كما عزز ذلك بالتناقض بين سكون البحر وهدوئه وصخب الحركة وتأجج العاطفة على شطآنه الضاجة

بالحياة . ولعل الشاعر باستخدامه هذه الالوان واستثارته لعنصر المفارقة يسعى لبناء قصيدة لونية توحي بالشباب وبخاصة انه كتبها وهو قد تجاوز السبعين مستعيدا ذكريات الشباب وهي مفارقة اخرى .

٧- المفارقة السقراطية :-

تقوم المفارقة السقراطية على مبدأ الحوار المفترض وقد كان سقراط يدعو الى الانفلات من ربقة المدركات والمواضعات ، وتقوم على طريقة معينة في المحاورة يستدرج شخص عن طريقها شخصا اخر حتى يصل الى الاعتراف بجهله ويوصف ارسطو بانه صانع المفارقة الاول[٣٩]، اذ كان يتعمد التظاهر بالسذاجة وتعتمد المفارقة السقراطية على استفزاز الطرف

---

[٣٩] - المفارقة في النثر العباسي : أ . د صالح بن عبدالله الخضيري ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات وادابها ، ع ٩ ، لسنة ٢٠١٢م : ٢٦٩ .

الاخـر مـن خـلال الحـوار والجـدل المتبـادل الموصل الى شيء يتعلم منه ، ومن المعروف ان المفارقـة السقراطية كانـت تظهـر بكثـرة فـي الاعمـال الحجاجيـة والنصـوص النثريـة لكـن الشعر الحديث استفاد من تقانات السرد وظهرت القصـــائد الســـردية او ذات الطـــابع الـــدرامي السردي فكثرت المفارقـة السقراطية فيهـا . وقـد اشـار الدارسـون حتـى اضـحى ذلـك مسـلما ان المفارقة السقراطية تكثر في النصوص الشعرية التـي تحمـل طابعـا سرديا او تقوم علـى الحوار بين شخصيتين او اكثر .

ولو تأملنا نصوص هذا الديوان لوجدنا بعض القصـائد التـي اعتمـدت تقانـات الحـوار السـردي في بنيتها وافادت من المفارقة منها قوله :-

- هِيَ ؟

(قلبي طائرٌ فَزَّ)

.....

.. ولا

- بلْ هِيَ .. (واحْتَرْتُ)

فأينَ الزُّهرةُ اليومَ وأينَ المُشتري ؟ ...

.....

- هِيَ ؟.....

- لا

- بلْ هِيَ ....

- لا

- (فَزَّتْ وفرَّتْ من حنينِ الأربعينْ) .

- وأنا ؟ ....

- لا ما أنا ....

- بلْ أنتَ يا طوفَ السِّنينْ .....

- وأنا أقبلُ أعذارَكَ

في السُّوقِ وقَفْنا طائعينْ ....

لنبيعَ الصّمتَ ذِكرى ...

- **هلْ نُعيدُ العُمرَ ؟**
- **لا نَمْلِكُهُ ..**
- **هلْ نشْتري ؟ ..**

ان النص الذي اثرنا ان ننقله على الرغم من طوله هو جزء من قصيدة سماها الشاعر(لقاء) وقدم لها بقوله (بعد مرور اربعين عاما على اخر لقاء .. ها هي الان امامي وسط زحام الطريق .. كدتُ ان اضيّع ملامحها واوشكت ان تتوهمني) ويلاحظ ان الشاعر من خلال التقديم وهو كما معروف من العتبات النصية اراد ان يوجه المتلقي الى طبيعة موضوع القصيدة الذي يدور حول لقاء الشاعر مع فتاة ربطته بها علاقة سابقة ، فقد اشار قبل هذا النص الذي استشهدنا به ان روحه طارت من مكانها عند رؤيتها ثم انتقل الى تجسيد ذلك

عبر استخدام تقنية الحوار الداخلي او ما يعرف (المونولوج) اذ ان الشاعر تعمد وضع علامة (مقول القول -) في بداية جمله الشعرية ليؤكد ان النص حواري سردي قائم على التردد والمغالطة وهي من اسس المفارقة السقراطية ، فقد انتقل من التشكيك بدقة رؤيته (هي لا بل هي لا) الى التشكيك بذاته (وانا لا ما انا) وبنية المفارقة بأكملها قائمة على هذا التشكيك وهو ليس تشكيكا حقيقيا ، بل استخدم التشكيك لجر القارئ الى ما يريده وهو خداعه واقناعه بشك الشاعر بنفسه وبها ، وبخاصة ان لقاءه بها جاء بعد اربعين عاما من الفراق فقد تغيرت ملامحهما بالتأكيد واخذ منهما العمر مأخذه لكن المفارقة تجسدت في انه لم يستطع اقناع نفسه بنسيانها فكيف له ان يقنع متلقيه بذلك ، ولقد كان الشك السقراطي اساسا في بنية القصيدة بأكملها اذ انه ينهي القصيدة بقوله :

وتَسَمَّرْنا وأعيانا الكلامْ ...

سوف تمضينَ وأمضي

وعَلى الدُّنيا السّلامْ..

فكان الشاعر يريد القول انه لم ولن يستطيع نسيانها وان مضيهما عن بعضهما يعني نهاية الدنيا بالنسبة لهما كليهما . ولعل من المهم القول ان الشاعر استدرج المتلقي ليوحي له ان الشاعر والسيدة لم يعرفا بعضهما وتناسيا ماضيهما ، واستمر في استدراجهما بطريقة متقنة ، ليفاجئهما في النهاية بانه لن يستطيع نسيانها ولن تستطيع نسيانه وهنا بلغت المفارقة ذروتها .

٨ – مفارقة السخرية :-

تعد السخرية من مظاهر الادب التي تعتمد على المهارة والذكاء وتعتمد التهكم بطريقة ذكية تهاجم بصورة غير مباشرة وقد انتشرت السخرية في الادب عبر عصوره كافة

وعدّ دارسو المفارقة السخرية مظهرا مهما من مظاهر المفارقة ، والسخرية تستخدم استخدامات متعددة لكن الذي يهمنا هو سخرية المفارقة التي تتم حين يلجا صاحب النص الى توظيف السخرية لبناء مفارقة قائمة على تلك السخرية ومن الجدير بالذكر ان تلك المفارقة تستمد شعريتها من كون الشاعر يحول المأساوي الى مضحك بطريقة ساخرة فيعزز بنية المفارقة . فالمفارقة على حد تعبير سيزا قاسم قول نقدي ساخر يتولد عن التوتر الحاد ويقوم على التناقض بين المعنى السطحي والمعنى العميق[٤٠]، فتتولد المفارقة من رحم السخرية التي تحتاج الى كد ذهني وتامل عميق بغية الوصول الى المعنى الذي يرومه المبدع . فتبدو ملمحا من ملامح الشعرية المعاصرة .

---

[٤٠] - المفارقة في القص العربي : مجلة فصول ، مج ٢ ، ع٢٤٣ ، ١٩٨٢م : ١٤٣ – ١٤٤ .

يقول عبدالوهاب إسماعيل في قصيدته

(محطة حياة) :-

مَرَّتْ قبلَ السَّبعينْ ..

حُزْمَةُ أصفارٍ

يَحْسِبُها النّاسُ عليكَ سنينْ ...

يَصْحَبُها خطَّانِ (/ /)

يميلانِ عليكَ

كَحَزِّ السِّكينْ .. [٤١]

لقد بنى الشاعر المفارقة على سخرية مرة فالشاعر هنا لا يسخر من احد بل يسخر من ذاته وقد كتب هذه القصيدة بمناسبة ذكرى ميلاده وكتب تحت عنوانها

(٢٠١٨/١١/٦ ميلادي في الحاضر)

(١٩٤٥/١١/٦ ميلادي في الماضي)

(٧٣/٠٠/٠ عبد الوهاب اسماعيل) ،

---

[٤١] - ديوان عبد الوهاب اسماعيل ١/ ٥٩٧ .

فالشاعر هنا طرح سنة ميلاده من سنة كتابة القصيدة ليذكر ان عمره قد بلغ حينها الثالثة والسبعين على وفق حساب الناس وحساب التاريخ ، لكنه يرى ان تلك النيّف وسبعين عاما لم تكُ الا حزمة اصفار يحسبها الناس سنين ، وهنا تتجلى لنا بوضوح شعرية المفارقة القائمة على سخرية مرة ليست من الذات فحسب بل من الواقع المرير الذي عاشته اجيال متتابعة لم تر من حياتها الا سنوات مرت بعذاب والم لم تشعر بها ولم تعش لذائذها ، فكانت سخرية الشاعر من ذاته هي سخرية من المجموع ومفارقة تجمع بين الضحك والبكاء اللذين امتزجا في حياتنا حتى لم يعد بامكاننا التفريق بينهما .

لقد جسدت المفارقة ملمحا فنيا شديد الوضوح في هذا الديوان وهذا ما دفعنا لمحاولة دراستها بصورة مختصرة اكتفت باختيار انموذج

او انموذجين من كل نوع من انواع المفارقة في الديوان ، فشعر الشاعر مكتنز بالمعطيات الفنية بانواعها التي تحتاج الى دراسات متعددة وهذا ما سنحاوله في قابل ايامنا ان شاء الله

قائمة المصادر والمراجع

١- التحليق في فضاءات النص : أ .د. محمد جواد حبيب البدراني ، دار دجلة ، عمان ، ٢٠١٤ .

٢- جماليات اللون في شعر زهير: موسى ربابعة ، مجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات ، مج ٢، ع ٢ ،

٣- جماليات اللون في القصيدة العربية المعاصرة : محمد حافظ دياب ، مجلة فصول ، مج ٥ ، ع ٢ ، ١٩٨٥.

٤- ديوان ابن مقبل: تحقيق د. عزة حسن ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ١٩٩٥

٥- ديوان عبد الوهاب اسماعيل : عبد الوهاب اسماعيل ، نينوى ، ٢٠١٩

٦- شعرية السرد في شعر احمد مطر : عبد الكريم السعيدي ، دار السياب ، لندن ، ٢٠٠٩

٧- صحيح البخاري : ابو عبدالله البخاري ، دار ابن كثير، د.ت .

٨- عتبات جيرار جنيت من النص الى المناص : عبدالحق بلعابد ، المغرب ، ٢٠٠٨ .

٩- عنونة الكتب النقدية عند حاتم الصكر: زهراء خالد الحديدي ، دار غيداء ، عمان ، الاردن ، ٢٠١٧

١٠- فن القصة في النظرية والتطبيق : د . نبيلة ابراهيم ، مكتبة غريب ، القاهرة ، د. ت .

١١-قصيدة موسيقى عراقية مقاربة ايقاعية : د. محمد جواد البدراني ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، م ١٧ ، ع ٣، اذار ٢٠١٠ .

١٢-لسان العرب : ابن منظور الافريقي ، ط ٦ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

١٣-المفارقة بنية الاختلاف الكبرى : د. سناء هادي عباس ، مجلة كلية التربية الاساسية ، الجامعة المستنصرية ، ع ٤٦، ٢٠٠٦ .

١٤-المفارقة الدرامية في النص المسرحي الاردني : عدنان علي المشاقبة ، المجلة الاردنية للفنون ، م ٩ ، ع٢ ، ٢٠١٦ .

١٥-المفارقة الروائية الزمن التاريخي ، نبيلة ابراهيم ، مجلة فصول ، مج ١ ، ع ٤ ، ١٩٩٣ .

١٦-المفارقة في شعر ابي نؤاس : كرار عبد الاله الابراهيمي ، رسالة ماجستير ، جامعة المثنى ، ٢٠١٧ .

١٧-المفارقة في شعر الرواد : د . قيس حمزة الخفاجي ، دار الارقم ، بابل ، ٢٠٠٧ .

١٨-المفارقة في القص العربي المعاصر : سيزا قاسم ، مجلة فصول ، مج ٢ ، ع ٢٤٣ ، ١٩٨٢ .

١٩-المفارقة في النثر العباسي : أ. د. صالح بن عبدالله الخضيري ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم اللغات وآدابها ، ع ٩ ، ٢٠١٢ .

٢٠-المفارقة في النص الروائي : د . حسن عماد ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ٢٠٠٠ .

٢١-المفارقة المصطلح والمفاهيم : د. شريف اعبيدي ، مجلة جيل للعلوم الانسانية والاجتماعية ، ع ٥٣ ، ٢٠١٨ .

٢٢-المفارقة والادب دراسة في النظرية والتطبيق : د. خالد سليمان ، دار الشروق ، عمان ، ١٩٩٩

٢٣- المفارقة وصفاتها : دي سي ميويك ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٩٣ .

٢٤-النص بين سلطة الايقاع وبوح الدلالة : د . محمد جواد البدراني ، دار مجدلاوي ، عمان ، ٢٠١٤ .

عبد الوهاب إسماعيل

في سطور

- عبدالوهاب إسماعيل محمد علي البرذعجي (البرادعي) الطَّيبي الطائي ....
- ولد في مدينة الموصل ٦/١١/ ١٩٤٥ م .
- أنهى الابتدائية في المدرسة (العراقية) عام ١٩٥٨م.
- ثم المتوسطة في (أم الربيعين) عام ١٩٦١م.
- ثم الإعدادية (الشرقية) – الفرع العلمي – عام ١٩٦٣م.
- فالدورة التربوية لإعداد المعلمين عام ١٩٦٤م.
- تخرج في كلية القانون في (جامعة الموصل) وحصل على البكالوريوس عام ١٩٩٨ م .
- عمل في التعليم للفترة ١٩٦٥ – ١٩٧٥م.
- عمل مشرفاً على القسم الأدبي في النشاط المدرسي لتربية محافظة نينوى للعام الدراسي ١٩٧٥ – ١٩٧٦م.

- نقل إلى وزارة الثقافة والإعلام وعمل مديراً لدار الثقافة الجماهيرية في محافظة نينوى (الإعلام الداخلي) للفترة ١٩٧٧-١٩٨٧ م .
- تولى خلالها مسؤولية الإدارة الموحدة لدوائر وزارة الثقافة والإعلام في نينوى (الإعلام الداخلي – الدار الوطنية للتوزيع والنشر والإعلان– مكتب وكالة الأنباء العراقية – مكتب البث المباشر للإذاعة العراقية) عام ١٩٨٦م.
- نقل إلى دائرة الإذاعات العامة في بغداد وتولى مسؤولية القسم السياسي الموحَّد لإذاعتي (بغداد وصوت الجماهير) وعدد من الاقسام الأخرى فيهما وكُلِّفَ مديراً للأخبار وكالة .. ١٩٨٧– ١٩٨٩م
- عاد إلى الموصل مسؤولاً لفرع شركة بابل للإنتاج السينمائي والتلفزيوني ١٩٩٠– ١٩٩١ م .
- وعمل في المحاماة في نهاية التسعينات .
- تفرغ بعدها للصحافة فهو عضوَ مؤسسّ لجريدة الحدباء الموصلية عام ١٩٧٩ ، بدأ عضواً في هيئة تحريرها ثم مديراً للتحرير فيما بعد ، والتي تواصل إصدارها حتى الاحتلال عام ٢٠٠٣

- وكان قد عمل عضواً في هيئة تحرير مجلة الجامعة للأعوام ١٩٧٧- ١٩٧٨م.
- وهو عضوٌ في اللجنة العليا لمهرجان الربيع في محافظة نينوى وفي لجانه الفرعية من ١٩٨٠- ١٩٨٧ م
- شارك في تحرير الكثير من الجرائد الإعلامية والنشريات الأدبية والثقافية التي صدرت في محافظة نينوى عبر ربع قرن من الزمن .
- كتب الشعر والمقالة والتعليق السياسي إلى جانب الشعر الشعبي والأغاني وأغاني الأطفال .
- كما كتب المسرحية ، والمسرحية الغنائية (الأوبريت)
- كان عضواً في نقابة المعلمين
- وهو عضوٌ في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين
- واتحاد الأدباء العرب .
- وعضو في نقابة الصحفيين العراقيين
- والصحفيين العرب .
- وعضو في نقابة الفنانين (قسم المسرح) .
- وعضو في نقابة المحامين العراقيين .
- وعضو في اتحاد الحقوقيين العراقيين ...

- وفي جمعية شعراء الشعب وكتاب الأغنية .

إلى جانب نشاطاته في كثير من فعاليات المنظمات الشعبية والفنية والثقافية .

- شارك في العديد من المؤتمرات والمهرجانات والندوات والأماسي والأيام الثقافية المقامة في كافة أنحاء العراق .
- زار عدداً من الأقطار العربية والأجنبية .
- شارك في دورة (ثقافة الجماهير في الاقطار النامية) ممثلا عن العراق ، والمقامة في جمهورية المانيا الديمقراطية ١٩٨٢.
- نشر في كافة الصحف والمجلات العراقية وفي عدد من المجلات العربية والأجنبية ، كالآداب البيروتية واللوتس لكتاب آسيا وافريقيا .
- تناولت مجموعة من الكتابات النقدية شعره ونشاطاته الثقافية وكتب عنه أكاديميون ونقاد كبار وشعراء ومهتمون .
- وتم اعتماد أشعاره كبحوث ترقية أصيلة ومصادر لعدد من الأكاديميين في جامعة الموصل ..

- صدر العديد من الكتب والدراسات الخاصة بشعره ، أهمها كتاب بعنوان ((الدلالي في الإيقاعي)) للدكتورة بشرى البستاني أستاذة الأدب العربي في جامعة الموصل .
- تناولت شعره رسالة ماجستير بعنوان:"الظواهر الفنية في شعر عبدالوهاب إسماعيل" للطالب : طلعت هادي حسن عطية المولى، جامعة الموصل ، كلية التربية الأساسية ، ٢٠١٣ م.
- تناولت شعره أطروحة دكتوراه بعنوان (الذاكرة في شعر عبدالوهاب اسماعيل) للطالبة وسن زينو حمد خليل النعيمي . جامعة الموصل . كلية الآداب . ٢٠٢٢ م
- اصدر الاتحاد العام للأدباء والكتاب في نينوى كتاباً – عن دار ماشكي للطباعة ٢٠٢١م. – تحت عنوان (الضفة الأخرى) دراسات نقدية في شعر عبدالوهاب اسماعيل

الكتب المنشورة :

- **الدواوين الشعرية :**

١- فاتحة النار .. (شعر) وزارة الإعلام ، سلسلة كتابات جديدة ، بغداد ، ١٩٧٤م

٢- طقس آخر.. (شعر) ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧م.

٣- هواجس على مرآة خاصة .. (شعر) ، وزارة الثقافة ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ٢٠٠١ م .

٤- لا فضاء سوى وحشتي ... (شعر) ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ٢٠٠٧ م .

٥- غصون المنتهى .. (شعر) ، مديرية النشاط المدرسي في تربية نينوى ، ٢٠١٠ م.

٦- صبوات متأخرة .. (شعر) ، مطبعة العلا ، الموصل ، ٢٠١٣ .

٧- النار لا تلهمني غير دمي .. (شعر) ، مطبعة الديار ، الموصل ، ٢٠١٣.

٨- المجموعة الكاملة ، الجزء الاول ، دار نون للطباعة والنشر ، ٢٠١٩ م .

٩- المجموعة الكاملة ، الجزء الثاني ، دار نون للطباعة والنشر ، ٢٠٢٢ م

المسرحيات :

١٠- مسرحيات غنائية ، مشترك ، مع الشاعر معد الجبوري ، مطبعة الجمهور، الموصل 1986 م.

١١- ممالك آروب (مسرحية) ، الموصل ، ٢٠١٣. دار نون للطباعة والنشر والتوزيع .

١٢- البيرق (اوبريتات غنائية بلهجة ريف نينوى واللهجة الموصلية) . الموصل . دار نون للطباعة والنشر والتوزيع . ٢٠١٦ .

المساهمات :

١٣- المساهمة في عدد من المجاميع الشعرية المشتركة للشعراء العرب والعراقيين :

- ذكرى حبيب ، ١٩٧٤ ، وقائع مهرجان أبي تمام الأدبي في الموصل ١٩٧١ ، منشورات وزارة الإعلام ، سلسلة الكتب الحديثة، بغداد .

- سبع أغنيات ، ١٩٧٨ ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل.
- الوطن الأبهى ، ١٩٨٤ ، منشورات المركز الثقافي ، جامعة الموصل .
- أغنيات للوطن ، ١٩٨٦ ، المركز الثقافي الإجتماعي ، جامعة الموصل .
- مسلة العراق ، ١٩٩٤ ، اللجنة الإستشارية للثقافة والفنون ، دار الكتب للطباعة ، الموصل.
- صوت ، ١٩٩٧ ، الإتحاد العام للأدباء والكتاب فرع نينوى ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل .
- أفق ، ١٩٩٨ ، الإتحاد العام للأدباء والكتاب فرع نينوى ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل
- فيض ، ١٩٩٩ ، الإتحاد العام للأدباء والكتاب فرع نينوى ، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل .

- مشهد ، ٢٠٠١ ، وقائع مهرجان أبي تمام الأدبي الثالث ، الأتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، مطبعة الموصل .
- قصائد للوطن والأنسان ... البيت الثقافي في السماوة ... العالمية للطباعة ٢٠١٧م .
- صدى الحضور ...قراءات في تجربة الشاعر معد الجبوري .. الاتحاد العام للادباء والكتّاب في نينوى .. اعداد كرم الاعرجي ٢٠٢٤ م .
- حرق الروح والذاكرة ... مختارات من شعر معد الجبوري .. إعداد مع حارث معد بمناسبة مهرجان أبي تمام السادس ٢٠٢٤ م .

الأعمال المخطوطة في طريقها إلى النشر :

١- الثقافة الجماهيرية في نينوى – ثقافة وإبداع –
٢- هوامش على سفر الحياة .
٣- أصدقاء (في تكريم أعلام الأدب والفن في نينوى) .
٤- شخصيات وأعلام مختارة .

٥- مجموعة من الكتابات السياسية المنشورة في الصحف والمجلات.

٦- زاوية الأدب الشعبي ...

٧- موجز الموجز

الفهرس

مزحة ٥

خلل الرماد ١١

الوقت يأكلني ١٧

ومعي هواي ٢٠

لابد من لابد ٢٣

لقاء ٣٦

غلالة الرماد ٤٤

جماح ٥٤

غدر وصافنات البيد ٥٧

مرثية ٦١

اغنية للجبل ٦٦

آخر السيّدات ٧٤

حديث خاص ٨٠

يأتي ثم يشير ٨٥

صورة ٩٧

حكايات ١٠٠
بستان الروح ١٠٤
حلم ١٠٧
سألُمُّ ترابي ١٠٩
رؤاي ١١٣
غربة ١١٥
وأنا أنادم عتمتين ١١٨
محطة حياة ١٣٦
وطن ١٤٠
ملحق كتابات نقدية ١٤٣
التنافذ في المجموعة ١٤٥
المفارقة في الديوان ٢١٥
عبدالوهاب في سطور ٢٦٧

عبد الوهاب اسماعيل

بعتيق رواياتي
وحريق حروفي .....

أدفنُ يا وطني أسْرارا ..
شرّقْتُ وغرّبْتُ
ورمْتُ شروخي
فوقَ مسارحها.....
إقْبالا في السّوحِ
وإدبارا ...

وتغنّيتُ بها
وتعنّيتُ لها
آنسْتُ بها نارا.....

ناموسُ الغُربةِ ألزَمني
بمعالمِ باهتةٍ
آثرَ مزْحتها
وتعتّقَ أسْوارا ..

عِشْتُ السّادرَ
والغادرَ
حدّ الفاعلِ في
الصّرفِ
وحدّ الممنوعْ ...

عِشْتُ الغابرَ عطباً
والحاضرَ
في بخْسٍ مدفوعْ ...

نثَرَ قافيتي في
السّيلِ
ووزّعني أشْطارا...

دار ماشكي للطباعة والنشر والتوزيع
العراق - الموصل
ص. ب. 11019
المجموعة الثقافية
07701664335
mashky2019@gmail.com

I . S . B . N
9 789922 738260